٥٢١

521

HARLEQUIN

www.elromancia.com

مرمورية

حب بعد عداوة

ستيفاني هوارد

حب بعد عداوة

ستيفاني هوارد

كان على لويزا ان تجد شقيقتها بسرعة فولداها وزوجها بحاجة إليها، أما روث المان فلا. لقد حاول اغواءها بنمط حياته المترفة ومن ثم تخلى عنها وكأنها لعبة غير مرغوب بها. والشيء المثير للدهشة، انه جعل لويزا تشعر وكأنها مذنبة في حقه! كيف تجرأ واتهمها بتشويه سمعته ومركزه الاجتماعي؟ لكن الأمر ازداد تعقيداً بالنسبة لها، عندما بدأ ذلك الرجل يغزو قلبها بالرغم من مكابرتها وممانعتها للأمر.

«هناك أمر يجب أن اطلعك عليه.»

«الشيء الوحيد الذي أرغب في سماعه منك هو أنك كنت تعنين فعلاً مما قلت. انك ستكلمين شقيقتك وتعيدينها إلى بريطانيا، على متن أول طائرة. لقد تحملت منكما ما استطيع تحمله. وإذا بقيتما هنا حتى مساء غدٍ، فسوف أخبر عنكما أصحاب الشأن.»

ستيفاني هوارد

ولدت ستيفاني هوارد وترعرعت في مدينة داندي في سكوتلاند، واكملت علومها في مدرسة لندن للاقتصاد. عملت صحيفة في العديد من المجلات النسائية لمدة عشر سنوات، إلى ان اصبحت مؤخراً كاتبة روائية ورئيسة تحرير لمجلة نسائية. لقد امضت سنوات عديدة تسكن وتعمل في ايطاليا، وماليزيا، والفيليبين، كما في الشرق الأوسط. وتسكن حالياً في كنت.

٥٢١

خلوب

khouloub Abir 521

حب بعد عداوة

ستيفاني هوارد

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

«حسناً، هل رأيتِ شيئاً كهذا من قبل؟»

كان ذلك صوت رجل يقف خلفها.

أجابته لويزا مبتسمة: «لا، لم أرَ مثل ذلك في حياتي ابداً!» ثم أخذت تنظر في المياه الكاريبية حيث يرسو هناك اليخت الأبيض، وقد شعّ بأضواء امحت ظلمة الليل، وحمل الهواء المنعش صدى الموسيقى والضحكات.

ابتسمت لويزا لنفسها هذه المرة، ابتسامة رضى وليس اعجاباً باليخت. وفكرت في أن المعلومات التي حصلت عليها كانت صحيحة. الليلة روث المان يقيم حفلة لأصدقائه على متن يخته.

دخلت لويزا كما دخل غيرها إلى المركب المتنقل الذي رسا على مرفأ ناسو، ثم جلست بين الركاب، وكأنها واحدة من المدعوين. ليس من أحد في امكانه ان يخمن بأن الفتاة النحيلة وصاحبة الشعر الأشقر، التي ترتدي فستاناً أخضر تجلس بينهم بكل ثقة واطمئنان بينما في داخلها خوف شديد.

لم تستطع لويزا أن تصدق ما تفعله. ففي حياتها لم تتطفل قط على حفلة. وهذه الحفلة لم تكن عادية. هذا الحدث المتألق كان من النوع الذي لا يمكن أن تدعى إليها واحدة مثلها لمليون سنة.

لم تكن مهتمة بالحفلة، بل اهتمامها كان ينصب فقط على

صاحب الدعوة روث المان. لم يعرفها بعد، ولكن كان لديها القليل من العمل غير السار لتقوم به معه.

أطبقت لويزا كفيها عندما دنا المركب من اليخت. بطريقة أو بأخرى، يجب ان تنساب إلى جانب اليخت متسترة. يجب ان تعطي انطباعاً بأن لها كل الحق أن تكون هناك. يجب ان تتصرف كما لو كانت ضيفة حقيقية. وفي إمكانها ذلك ان تمالكت أعصابها.

تنفست بعمق وكأنها تمنح نفسها شجاعة لتواجه روث المان، لأن هذه المواجهة قد تكون فرصتها الوحيدة لتنقذ عائلة شقيقتها ومستقبلها.

وقف المركب إلى جانب اليخت، فوقفت لويزا ومشت وراء امرأة في رداء مخملي أحمر اللون نحو السلم الذي يتصل بسطح اليخت، بينما كانت تتضرع في نفسها بحرارة لتنجح في مهمتها، وساعدها أحد طاقم اليخت في الصعود وهو يبتسم لها مرحباً، ثم قال: «اهلاً بكِ على متن اليخت يا آنسة.»

ابتسمت لويزا له وهي لا تصدق نفسها بأنها اجتازت لغاية الآن المرحلة الأولى من مهمتها. لكنها وفي الوقت نفسه شعرت بانقباض في معدتها من القسم الأصعب الذي ينتظرها!

مضى على لويزا الآن اكثر من ساعة لوجودها على متن اليخت، ولكنها ولغاية الآن، لم تلتق بروث المان وجهاً لوجه.

قررت أن تؤخر لقاءها الآن، لأنها اكتشفت ان الوضع كان أقل دقة مما توقعت. واخذت تمشي على رؤوس

اصابعها على سطح اليخت وهي تسترق السمع وتحاول النظر إلى الداخل من خلال النوافذ المستديرة، وتفتح الأبواب التي تمر بها ثم تطل برأسها إلى داخلها، بينما قلبها ينبض بسرعة، منذهلة من جرأتها.

لكنها، وجدت أن محاولاتها هذه لم توصلها إلى نتيجة تذكر، لدرجة انها قررت ان تسلم بالأمر، تنهدت وهي تفتح باباً أخيراً لحجرة أخيرة واطلت برأسها هامسة: «ريتا؟ هل أنتِ في الداخل؟»

لم تلق جواباً على سؤالها، وكانت على وشك أن تتراجع مرة أخرى. لكن، سمعت بعد ذلك صوتاً خفيفاً على نحو مفاجيء من الجانب الآخر للحجرة، مما جعلها تقف مترددة للحظة.

عادت تهمس منادية من جديد: «ريتا؟» ونظراتها تصطدم بالظلام الدامس للحجرة، وبجرأة، تقدمت خطوة اخرى إلى الأمام متأكدة بأنها سمعت صوتاً في الداخل.

لكن الصمت عاد يجيبها على مناداتها الثانية، والصوت الوحيد الذي تناهى إلى سمعها، صوت الموسيقى المرتفع من سطح السفينة.

بقيت لويزا واقفة تحدق في الظلام وتساءلت ربما الذي سمعته من نسج خيالها. تنهدت وقد ضاعت بتساؤلاتها وتحيرت من الذي ستقوم به في المرحلة التالية.

وصعقت مندهشة عندما سمعت صوتاً من ورائها يقول لها بهدوء: «لا اعتقد بأنك ستجدين من تبحثين عنه في هذه الحجرة.»

عرفت مباشرة من يكون صاحب الصوت قبل أن تنظر

إليه. وشعرت بغصة في حلقها بينما تورّد خداها من الحيرة والارتباك الشديدين، ثم قالت في نفسها: لقد وقعت في مأزق كبير! واستدارت كلياً لتنظر في وجهه.

تظاهرت بالبراءة وعدم المبالاة وهي تقول: «آه، سيد المان! لقد اخفتني فعلاً! لم يكن لدي أدنى فكرة بأنك ستكون هنا.»

«نعم، ويبدو عليك ذلك.»

كان يقف عند باب الحجرة، ظهره إلى الضوء ووجهه في الظل. ولم تستطع لويزا أن تتميز منه سوى قامته الطويلة وكتفيه العريضين كما وأنها لم تستطع أن تتبين معالم وجهه، فقط عينان داكنتان تنظران إليها لتنفذ إلى اعماقها مسببة لها رجفة باردة سرت في عروقها.

احتارت في امرها، ولم تعرف كيف تشرح له سبب وجودها. ولامت نفسها لأنها جعلته يعثر عليها، ثم اخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول: «تخيّل لي انني سمعت ضجّة داخل هذه الحجرة.»

«ضجّة؟ وما نوع هذه الضجة؟»

«لا اعرف.»

«وبمجرد سماعك لهذه الضجة، قررت أن تكتشفي بنفسك ما قد تكون؟»

اخفضت لويزا نظرها وهي حائرة بماذا تجيب، فقد كانت بصدد أمر آخر عندما تفاجأت بتلك الضجة التي لم تكن في الحسبان.

فأخذت تفكر بكلام سريع يجنبها أن تكذب عليه، مع أنها ضمنا تعلم جيداً أنها لا تستطيع أن تطلعه على الحقيقة

كاملة، لذا قالت: «يبدو أنه تصوّر لي ذلك، ولا يبدو أن هناك أي شيء في هذه الحجرة.»

«ما رأيك لو نستطلع ذلك؟»

أشعل ضوء الحجرة فجأة، فأغمضت لويزا عينيها وفتحتهما من شدة النور الذي غمر الغرفة وبهر عينيها، لتراه امامها، روث المان رجل الأعمال العظيم ونجم الصحف والمجلات، وشعرت بتوتر شديد في داخلها لمواجهته وجهاً لوجه.

كان وجهه مألوفاً لديها لكثرة ما شاهدت صوره في الصحف، لكنها لم تتوقع يوماً في أن تقف قريبة منه إلى هذا الحدّ انه رجل في الخامسة والثلاثين من عمره داكن الشعر يبعث الرعب في القلوب.

قال لها متحدياً وهو يحدّق بها بعينين سوداوين باردتين: «يمكننا الآن وبعد أن اشعلت الضوء أن نتبين ما نريده.»

تنحنحت لويزا قائلة: «نعم، هذا أفضل بكثير، لا ادري لماذا لم اشعل الضوء بنفسي.»

رفع إحدى حاجبيه وابتسم ابتسامة ماكرة ثم قال: «لا ادري أنا أيضاً لماذا لم تقومي بذلك، أو ربما قصدت ذلك حتى لا يشاهدك أحد.»

شعرت لويزا بفظاعة عملها وتردّدت قبل أن تقول: «قصدتُ أن لا يشاهدني أحد؟ ولماذا تعتقد أني اقصد ذلك؟»

اجابها بخبث: «اعتقد بأن عليك أن تجيبي بنفسك عن هذا السؤال.»

كانت قد رأته قبل الآن، يتنقل بين ضيوفه برشاقة وحيوية كشخص يفرض نفسه وطاعته على الآخرين بتعالٍ

وغطرسة، وها هي تراه الآن يحقق معها بدلاً من أن تبدأ هي بالتحقيق معه.

قالت له وقد ضاقت عيناها: «لقد سبق وقلت لك. حسبت أنني سمعت ضجة.»

«آه، نعم، نسيت ذلك.»

توقف عن كلامه لينظر إليها نظرة فاحصة من رأسها إلى اخمص قدميها.

ثم حوّل نظره عنها إلى ارجاء الحجرة وقال: «حسناً، ومهما كانت تلك الضجة، فلا اجد من داعٍ للقلق بشأنها، ولا يبدو أن هناك شيئاً مهماً.»

اسرعت لويزا تقول وهي تحاول السيطرة على اعصابها: «معك حق، لا يوجد شيء هنا.»

ثم تابعت تقول له بعد لحظة: «وكما قلت لك، لا بد وأنه تخيّل لي أنني سمعت ضجة.»

عاد ينظر إليها مطولاً ثم قال: «لا بد وأنه كذلك. بالمناسبة، هل يتهيأ لك دائماً سماع ضجة؟»

انه روث المان. وكما عرفته على الشاشة الصغيرة بنبرات صوته الباردة والمتحدية دائماً خلال مقابلات عديدة، ولاحظت ان العديد من الصحافيين يرتبكون في حضوره. فرفعت رأسها وقرّرت أن لا ترتبك مثل هؤلاء ثم قالت ببرود: «لا، لا يتهيأ لي دائماً.»

ابتسم لها بغطرسة قائلاً: «تأكيدك عظيم الشأن، ولكن من ناحيتك. واقول لك ان سماع أية ضجة قد يستوقف اشخاصاً آخرين بتساؤل وحيرة... إنما وبالنسبة لصحافية مثلك، قد تثبت أشياء جدية وعملية.»

شعرت لويزا بقلبها يهوي من مكانه وقالت: «كيف عرفت بأنني صحافية؟»

نظر إليها بعينين ثاقبتين قائلاً: «تقولين كيف عرفت؟ لماذا؟ هل كنت تريدين أن تبقي ذلك سراً؟»

نظرت لويزا إليه وهي تحاول أن تتمالك اعصابها ثم قالت: «ليس من الضروري.»

الذي سبّب لها الخوف، لم يكن لمعرفته بأنها صحافية، ولكن لمعرفته بكل شيء عنها! فمن المفترض أن يكون وجودها على هذا اليخت سراً عن الجميع، فكيف عرف بوجودها يا ترى؟

كرّر تنكرها بنبرة شكوكية: «ليس من الضروري... في هذه الحالة، كان ينبغي عليك أن تكوني أكثر حكمة لكي تحافظي على مهنتك بسرية لأنني لا أرغب في أن أدعو الصحافيين إلى حفلاتي.»

«آه.»

«آه، بالتأكيد. فأنا اكرههم، بل اكرههم بشدة.»

انها لم تسمع في حياتها قولاً صريحاً كهذا! كرهه للصحافيين كان خرافة.

اخفضت لويزا نظرها إلى الأرض وهي تلوم نفسها للمأزق الذي علقت فيه. وتذكرت أنه قد سألها أحد المدعوين عن مهنتها في وقت سابق اثناء الحفلة. وأجابته بصدق أنها صحافية ولم يخطر في بالها أن ذلك سيؤدي بها إلى ما هي عليه الآن. لكن، وعلى كل حال، فلا شيء يربط بين مهنتها والدافع الرئيسي لوجودها هنا. وتمنت وهي تشعر بالندم لو أنها لم تتكلم عن نفسها لذلك الضيف منذ البداية.

كان روث مازال يراقبها عندما رفعت نظرها إليه لتراه يبتسم ببرود وهو يقول: «لذا، وفي هذه الظروف، تجدينني اتساءل عن سبب وجودك هنا. ولا يحضر حفلاتي إلا الذين اختارهم بنفسي وببطاقة دعوة مني... وكلانا يعلم جيداً بأنني لم أرسل إليك بطاقة دعوة.»

تردّدت لويزا وقد شعرت بعدم الارتياح وقالت في نفسها: ما كان عليّ أن اورط نفسي في هذا الأمر. لكن، وعندما نظرت إلى عينيه السوداوين القاسيتين، تذكرت السبب الذي فرض عليها ودفع بها لتكون على متن هذا اليخت. وذلك في محاولة منها لانقاذ عائلة شقيقتها ريتا من براثن هذا الرجل! وقرّرت أن تمضي معه ببضعة اكاذيب بيضاء لا ضرر منها.

أخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول: «لقد قدمت مع بعض من اصدقائك.»

«بعض من اصدقائي؟»

«نعم.» وبطريقة ما كان جوابها صحيحاً. فمن بين المدعوين الذين تمّ نقلهم بواسطة المركب إلى اليخت، كان هناك شخصان، تأكد للويزا بأنهما على معرفة متينة به وذلك من الحديث الذي دار بينهما. فتابعت قائلة: «ولم نفكر بأنك ستمانع لو أنني دخلت معهما.»

رفع حاجبيه متعجباً ثم قال: «هل تعنين بأن صديقين من اصدقائي قدّما لك دعوة؟ هل تتكرمين وتطلعينني على اسميهما؟»

حاولت لويزا بجهد أن تتذكر الاسمين ثم قالت: «سيزار وفيكتوريا.»

بدا على روث التفكير العميق وكأنه يتذكر. ثم قال: «سيزار وفيكتوريا؟ لم أكن اعلم أن احداً منهما على صداقة مع الصحافيين.»

«ربما لا تعرف عن صديقيك كما تعتقد.»

ابتسم قائلاً: «معك حق، ربما لا اعرف الكثير عنهما.»

عاد ينظر إليها مطولاً وتبيّن للويزا ان له عينين ثاقبتين تجعلانك مشلولاً عن الحركة.

مرة ثانية عادت ابتسامته لتصبح باردة، ونظراته اصبحت حادة، كحد السيف وهو يقول: «ربما وكما تقولين، لا اعرف صديقيّ كما اظن... وربما لا تعرفينهما أنت البتة. ما رأيك لو نذهب ونسألهما؟»

شعرت لويزا بقشعريرة باردة تسري في عروقها، يبدو أن الأمر جدي وليس مزحة. وكرهت نفسها لتلك الخدعة التي ستقوم بها، بينما ترغب ومن كل قلبها أن تعترف وتواجهه بحقيقة امرها، ولكنها شعرت بشيء في داخلها يدفعها لأن تبدّل من خطتها وأن تبقي اهدافها وفي الوقت الحاضر غير معلنة.

نظرت إلى وجهه بتحدٍ قائلة: «نسألهما إذا كانت هذه رغبتك.»

ولدهشتها، بدت أن الخدعة نجحت معها، ولم يبدُ عليه أنه مستعد ليرافقها إلى الحفلة، بل توجه إليها بهذا السؤال: «فهمت أن اسمك لويزا، لويزا ماذا؟»

«لويزا بايكر.»

«لويزا بايكر.» كرّر اسمها وعيناه تضيقان متأملاً فيها، وفهمت بأنه يحاول أن يراجع بذاكرته القوية اسمها، والتي تشبه العقل الالكتروني بتفوقها.

«كما انك من بريطانيا، عرفت ذلك من لكنتك. وما الذي تفعلينه في البهاماس، يا لويزا بايكر... عدا أنك ترافقين فيكتوريا وسيزار إلى الحفلات؟»

«إنني اقوم برحلة سياحية، وما من شيء غير ذلك.» وتمنّت لو كان قولها هذا صحيحاً، ولو أن مشكلة شقيقتها ريتا لم تظهر فجأة. فهي تعشق الرحلات السياحية مثلها مثل أي شخص آخر.

قال عند ذلك بنبرة لا يمكن أن تعطي انطباعاً إن كان قد صدقها أم لا: «إذن، أنت ضيفة عند سيزار وفيكتوريا؟ وتقضين معهما إجازتك؟»

نظرت لويزا إليه في البداية دون أن تجيبه ودفعت بخصلة من شعرها الأسود إلى ما وراء ظهرها، ثم أجابت بعد ذلك إجابة لا تؤكد أو تنفي ما قاله: «ألا تعتقد بأنهما محبّان؟ وبأنهما كريمان وودودان؟»

كان روث ما زال يقف عند مدخل الحجرة وينظر إليها بعينين متفحصتين. وتابع يؤكد قولها: «نعم، انهما بالفعل كذلك، كما أن منزلهما في ناسو جميل جداً وأحسدك لأنك تمضين اوقاتك فيه.»

احست لويزا بانقباض شديد في معدتها، وبأنها اقترفت ذنباً لدخولها المتسلّل إلى هذا اليخت، وعادت تذكر نفسها بالسبب الذي اجبرها لتأتي إليه.

أجابته لويزا قائلة: «هل تعرف منزلهما في ناسو؟»

«اعرفه جيداً، وقد ذهبت إليه مرات عدة، والاصلاحات الجديدة التي قاما بها للمنزل، كانت ناجحة جداً.»

«تماماً، وكما قلت، كانت ناجحة جداً.»

ابتسم روث وهزّ برأسه موافقاً، وفكرت لويزا في أنه سيحرّرها الآن، وبأنها نجحت في اقناعه بروايتها الملفقة.

لكنه تقدم خطوة منها وهو يقول: «ما رأيك بشراب منعش؟»

بغتت لويزا من سؤاله وقالت: «شراب منعش؟» ثم ابتعدت عن طريقه وقد رأته يتقدم متجاوزاً إياها إلى الجهة الأخرى من الحجرة. ولاحظت عند ذلك محتويات الغرفة، ففي إحدى زواياها، سرير داخل في الحائط، وإلى جانبه طاولة وخزانة وبراد صغير يحوي بداخله المشروبات المنعشة الباردة.

سألها عند ذلك: «ماذا تفضلين؟»

أجابته لويزا قائلة: «لا اعتقد انني بحاجة لأي شيء.» وفي قرارة نفسها كانت تريد أن تنهي ذاك الحديث معه، لا أن تطيله.

قال بينما كان يسكب نوعاً من العصير في الكوب: «سأتناول بعضاً من عصير البرتقال، قولي ما الذي تفضلينه؟»

نظرت لويزا إليه تتأمل جاذبيته وسحره، ثم عرفت لماذا تركت شقيقتها حياتها العائلية لتلحق بهذا الرجل.

عاد يقول من جديد: «حسناً، ماذا تفضلين؟»

لم يكن من فائدة في رفض رغبته، كما أنه يمكنها أن تسايره وتتابع تمثيل دور الضيفة البريئة امام المضيف الوسيم.

قالت وهي تتظاهر بالارتياح وعدم المبالاة: «لا بأس بعصير البرتقال.»

«مع الثلج؟»

«لا، شكراً.» ولم تدر لما وجدته فجأة ساحراً وجذاباً، لكن ما وجدته فيه لم يمنعها من عدم الحذر منه.

تقدم روث منها وقدم لها كوب العصير. تناولت الكوب بسرعة وقد شعرت بارتجاف داخلي من ذلك.

قال لها: «ان وجودنا في هذا الركن الهادىء والساكن من اليخت، لفكرة رائعة. فأنا وبصراحة، لست مغرماً بالحفلات الساهرة هذه.»

لم تصدقه لويزا وقالت متسائلة: «لا؟ إن هذا ليدهشني فعلاً. وأنا التي اعتقدت أن هذه الحفلات تعجبك دائماً.»

«وما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟» قال لها ذلك مبتسماً ابتسامة ارسلت الدفء في نفسها.

ابعدت لويزا هذا الشعور عنها وأجابته: «لا أدري، لكن من ينظر إليك وإلى حيويتك ونشاطك، يعتقد ذلك.»

«صحيح؟»

«نعم.»

تذكرت لويزا عندما شاهدته من قبل يتنقل بين ضيوفه وكأنه نجم لامع، وهو يرد على ابتسامات الجميع بابتسامة أكبر.

عاد يبتسم لها قائلاً: «اعتقد أنني دائماً على هذه الحال.»

لم تستطع مقاومة ابتسامته لها وبادلته الابتسام وهي تذكر نفسها بأن روث المان رجل جذاب وخطير، لا يمكن مقاومته.

جرعت بعضاً من عصير البرتقال ثم قالت: «لكن يدهشني انك لا تحب الحفلات.»

نظر إليها قائلاً: «أه، انها تسرني احياناً، ولكنني لا ارغب بها دائماً مثل صديقيك فيكتوريا وسيزار.»

رفعت لويزا نظرها إليه وقد شعرت من جديد باضطراب في داخلها لذكر الاسمين: «اعتقد بأنهما يكرسان وقتهما لها.»

«هذا أمر لا يعرفه سواك... خاصة وانك صديقة لهما وتنزلين ضيفة عليهما.»

احست لويزا بقشعريرة باردة وهي تنظر إلى ملامحه الباردة والرزينة. وأحست بنذير شؤم يلوح لها من الأفق مهدداً ومتوعداً، وبأنها علقت بفخ لا يمكنها الخروج منه بسهولة.

ضغطت بأصابع يدها على الكوب قائلة: «نعم، اعتقد انهما كذلك.»

شعرت بنظراته تنفذ إلى روحها وقلبها وهو يقول: «من المؤكد انهما كذلك... على فكرة، لماذا لا تريحي جسدك وتجلسي؟»

كان هناك مقعد قريب من لويزا ويمكنها أن تجلس عليه، انما فكرت لو انها جلست وارتاحت عليه، لن يكون في استطاعتها أن تنهض منه بعد ذلك.

فأجابته بسرعة: «إذا كنت لا تمانع، فأنا افضل الوقوف.»

ظلّ ينظر إليها ببرود ومكر ثم قال: «افعلي ما يطيب لك... منذ متى أنت صديقة لفيكتوريا وسيزار؟»

«ليس من مدة طويلة.»

«وكيف تعرّفت عليهما؟»

«كما يتعرف الجميع ببعضهم، هكذا، عن طريق الصدفة.»

«عن طريق الصدفة؟»

اضطربت لويزا قائلة: «نعم، إنما لا أذكر كيف بالتحديد.» ثم نظرت إليه بحدة وتابعت قائلة: «لكن لِمَ هذا السؤال؟ هل هو تحقيق معي؟»

جرع بعضاً من عصير البرتقال ثم قال: «تحقيق؟ بالطبع لا. هذا فضول مني فقط، لا أكثر ولا أقل... لكن هناك امر لم استطع معرفته بعد... كيف تنزلين ضيفة على منزلهما في ناسو، وأنا أعلم انهما غائبان عنه منذ عدة اسابيع... وقد حضرا من نيويورك بعد ظهر هذا اليوم خصيصاً للاشتراك في هذه الحفلة؟»

شعرت لويزا بقلبها يهوي من مكانه من تأثير كلامه الأخير. وفكرت في أنها ليس لديها في هذه الدقائق الحرجة سوى خيارين، الخيار الأول أن تسرع وتخرج من هذه الحجرة وتقفز إلى البحر، ثم تسبح نحو الشاطىء، أو أن تحاول التكلم معه بأمر خروجها من هذا المكان بهدوء ودون متاعب.

لكنها لو بقيت واختارت الخيار الثاني، فإنها ستأمل في تحقيق الهدف الذي قطعت تلك المسافات من أجله.

تنهدت ثم جلست على المقعد واخذت نفساً عميقاً قبل أن تنظر إليه لتقول: «اسمع، يا سيد المان، اعتقد بانني لم اكن صادقة معك وادين لك باعتذار، انني لست صديقة لفيكتوريا وسيزار، ولم يقع نظري عليهما قبلاً سوى في ذلك المركب الذي نقلنا إلى هذا اليخت.»

نظر إليها بعين فاحصة عندما توقفت عن متابعة كلامها، ثم قال: «اخبريني الآن بشيء لا اعرفه.»

نظرت لويزا إلى كوب العصير وقالت: «سيد المان، انني اعتذر اليك. لقد دخلت خلسة إلى حفلتك هذه، و...»

«اعرف هذا، قلت لك اخبريني بشيء لا اعرفه.» جاء صوته منذراً ومقلقاً وتابع قائلاً: «اخبريني مثلاً، لماذا تسللّت إلى حفلتي؟»

بلعت لويزا ريقها وقد شعرت بانها لا تستطيع ان تطلعه على السبب الذي دعاها إلى ذلك بعد. فانتحلت عذراً آخر وقالت: «اعتقد أنه اقتحام ارتجالي مني، ففي الفندق الذي انزل فيه، سمعت بعض الاشخاص يتحدثون عن الحفلة وتصوّر لي انها ستكون حفلة فريدة من نوعها و...»

توقفت فجأة عن الكلام وقد شعرت بأنه من النوع الذي يؤخذ بالكلام المعسول.

ثم تابعت تقول: «لا اعرف ما الشعور المفاجيء الذي تملكني لحضور هذه الحفلة.»

«فهمت.»

«اعرف انه ما كان يجدر بي أن افعل ذلك. لكن ارجو أن تثق بكلامي وبأنني لم اكن انوي شراً.»

«افهم من كلامك أن سبب مجيئك، هو للاستمتاع بالحفلة فقط؟»

هزّت لويزا برأسها موافقة، مع أن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، وفكرت بأنه عذر مؤقت فقط وسيعلم في النهاية الحقيقة بكاملها.

عادت تبلع بريقها قائلة: «نعم، هذا هو سبب مجيئي.»

ابتسم روث بكبرياء وقال: «حسناً، اعتقد وفي هذه

الحالة، انني لا يمكن أن الومك على تصرفك هذا... وكما سبق وقلت، انها حفلة فريدة من نوعها.»

تمشى في الحجرة بينما كان في رأس لويزا قلق واحد، وهو، هل سيعتقها اخيراً ام لا؟

وقف إلى جانبها وتابع يقول: «هناك فقط امر آخر... لماذا تتجولين خلسة في ارجاء اليخت؟»

تسارعت دقات قلبها بينما كان رأسها يبحث عن جواب مقبول، وقالت: «لم اقصد ذلك قط، لكنني شعرت انني في حاجة لتنشق الهواء النقي والابتعاد عن الموسيقى وضحكات المدعوين، ولم اقصد انتهاك حرمة يختك، آسفة ان بدا الأمر كذلك.»

«وتلك الضجة التي اعتقدت بأنك سمعتها، والتي جعلتك تدخلين إلى الحجرة؟»

اجابته باقناع: «لا بدّ انني تخايلت ذلك. ولم اعرف ما قد تكون...»

«كما انني كذلك لا اعرف... ولكنني لو كنت مكانك لفعلت نفس الشيء واردت أن اتحقق بنفسي.»

«شعرت بدافع يدفعني إلى فتح باب الحجرة دون أن اتوقف للتفكير لحظة واحدة.»

«نعم، افهم ذلك.»

تابعت لويزا كلامها: «واعرف أن ذلك يبدو أمراً مشككاً فيه. لكن، صدقني يا سيد المان، انني...»

توقفت فجأة عن الكلام وقد شعرت بأنه يقترب منها فجأة، فارتعشت يدها وسقط العصير فوق ثوبها.

نظر إلى وجهها المرتبك والمتورد وقال: «كنت اعلم

بأنك سوف تسقطين ما في الكوب فوق ثوبك وذلك من الطريقة التي كنت تمسكين به، وكنت على وشك أن اخذه منك قبل أن يحصل هذا.»

نظرت لويزا إلى البقعة التي لوّثت ثوبها وقالت متنهدة: «لقد اتسخ!» وتذكرت أنه عليها أن تعيد الثوب بحالة جيدة إلى المحل الذي استأجرته منه.

قطع روث حبل افكارها قائلاً: «لو انك تمسحين البقعة بالماء، فلن يبقى لها أي اثر، ستجدين ما تحتاجين إليه من المناشف وأشياء أخرى في حمام هذه الحجرة.»

طأطأت لويزا برأسها قائلة: «حسناً.»

فمن الأفضل لها أن لا تمضي بقية هذه السهرة بفستان ملطخ بعصير البرتقال.

دخلت الحمام واخذت تمسح البقعة بالماء بانتباه وحذر واطمأنت بأنها ستجف بسرعة متى خرجت من هذه الحجرة إلى حيث الهواء المنعش.

«اعتقد بأن البقعة ستختفي تماماً و...»

عندما لم تلق جواباً، عادت إلى الحجرة ولكنها لم تجد روث فيها. وفكرت أنه ربما يكون خارجاً ينتظرها، وقد قرّر ان يعود إلى حفلته. فتوجهت إلى الباب، وقد شعرت بارتياح يغمرها. وقرّرت ان تمضي بقية السهرة بطريقة لا تجعله يعود فيها إلى الشك بأمرها، لأنه لن يدعها تفلت من يده مرة اخرى.

هيأت نفسها بابتسامة عذبة ملؤها الثقة، وادارت مقبض الباب لتفتحه، واكتشفت انها لن تستطيع الخروج والذهاب إلى أي مكان. فقد كان الباب مقفلاً عليها من الخارج.

الفصل الثاني

استيقظت لويزا في صباح اليوم التالي على طرق خفيف على باب حجرتها.

قامت بسرعة من السرير وصاحت عندما فتح الباب فجأة: «ما الذي فعلته بي؟»

ولكن، لم يكن روث المان عند الباب، انما مضيف شاب ببذلته الرسمية والذي تراجع بخطاه إلى الوراء لصرختها المفاجئة.

وقال لها: «آسف ان كنت قد ازعجتك يا آنسة بايكر. لكن السيد المان يسأل اذا كنت ترغبين بالانضمام اليه حول مائدة الفطور على سطح السفينة؟»

ابتسمت لويزا وقالت معتذرة: «آسفة، لم أقصد أن أكون فظة معك، فلقد اعتقدت انك شخص آخر... أرجوك ان تخبر السيد المان بأنني سأوافيه بعد قليل.»

انحنى المضيف بأدب، ثم ناولها ثياباً مريحة تناسب هذا الوقت، وقال: «لقد طلب مني ان اعطيك هذه الثياب، فقد تحتاجين اليها.»

فكرت لويزا وهي تغلق باب الحجرة انها لفتة كريمة من روث المان، فهي حقاً بحاجة لتستبدل فستان السهرة. وتذكرت كيف انها استسلمت للنوم ليلة البارحة، وعندما تأكدت انها لن تستطيع اي عمل والباب مقفل حتى لو صرخت واستنجدت باي كان، فما كان سمعها احد.

شعرت بجوع قاتل بينما كانت ترتدي البنطال والقميص القطني وتنتعل الحذاء الخفيف، فهي لم تذق اي طعام منذ أربع وعشرين ساعة.

تناولت لويزا المشط من حقيبة يدها وأخذت تسرح شعرها، لم يكن في تلك الحقيبة سوى احمر شفاه وورقة نقدية بقيمة عشرين دولاراً، فهي لم تتوقع بأنها ستمضي ليلتها على متن اليخت.

تأملت نفسها في المرآة وقد شعرت بالحقد على روث المان الذي سجنها في هذه الحجرة.

كانت تنتظر منه تفسيراً واضحاً لفعلته، وأن ينهي هذه المسرحية الساخرة ويعيدها الى اليابسة حالما تنتهي من فطورها.

صعدت بعد فترة إلى سطح السفينة وانضمت الى روث المان الذي كان ينتظرها ليتناول معها الفطور وهو يرتدي ثياباً بيضاء.

فتقدمت منه ونظرت اليه بجفاء قائلة: «يجب ان اناقشك بأمر مهم.»

التفت نحوها بتكاسل وقال بلهجة باردة: «صباح الخير اولاً، أرجو ان تكوني قد نمت جيداً... هيا اجلسي على هذا الكرسي.»

بالرغم من مظهره الجذاب الذي ارتعش له قلب لويزا، فقد قطبت جبينها وهي تقول له: «أطلب منك أن تعطيني تفسيراً على...»

لكنها توقفت فجأة عن المتابعة، وقد اتسعت عيناها بخوف شديد وهي ترى الأفق امامها.

تلعثمت قائلة: «اين... أين نحن؟ لقد اختفت اليابسة تماماً.»

اسرعت إلى جهة من درابزين السفينة، وأيضاً إلى جهة أخرى قبل ان يتمكن روث من الاجابة عن سؤالها. لكنها اينما نظرت لم تر أي وجود لليابسة، بل هي على بعد مئات الأميال منها وفي اي مكان وفي وسط البحر.

شعرت بهزة عنيفة تهز كيانها وهي تسمع هدير محرك اليخت المنطلق، فالتفتت إلى روث وقالت: «هل تريد أن تخطفني!»

ابتسم وبدت في نظراته اللهو والعبث ثم قال: «لا أعتقد ذلك.»

قالت بغضب وهي تنظر إلى وجهه الوسيم والكريه لها في الوقت نفسه: «لا تعتقد ذلك! إذاً، من فضلك لو تطلعني، ما الذي تحاول ان تقوم به؟»

عاد يبتسم ببرود قاتل وقال: «اتناول طعام الفطور، فلِمَ لا تشاركينني ذلك؟»

نظرت لويزا اليه بازدراء قائلة: «اين نحن الآن؟»

تناول فنجان القهوة ورشف منه ببطء قبل أن يجيبها قائلاً: «اننا على بعد اميال قليلة من جزيرة بروفيدانس... فاذا كنت ترغبين بأية معلومات اضافية، يمكنك اخذها من قبطان يختي.»

كانت لويزا تعلم بأن اليخت سينطلق هذا الصباح، ولهذا السبب اختارت ان تدخل خلسة اليه مساء البارحة. لكن الذي لم يكن في الحسبان، أن ينطلق وهي على متنه.

وها هي الآن محتجزة في مكان في وسط البحر ومع رجل لا تثق به ولا تأمن شره.

عادت تقول وهي تحاول جاهدة ان تخفي خوفها: «ما هي اللعبة التي تلعبها معي؟ وهل أنت معتاد على سجن ضيوفك ومن ثم الابحار بهم على هواك دون ان تعلمهم بذلك؟»

رفع أحد حاجبيه قائلاً: «اعتقد بأنك أخطأت بكلامك يا آنسة بايكر. أنت لست أحد ضيوفي.»

ضاقت عيناها من التوتر وهي تقول: «اعتبرها ذلة لسان مني. هل احتجزتني لأنني لست من ضيوفك؟ ولهذا السبب تبحر بي إلى وسط البحر؟ ولأنني فقط تسللت الى حفلتك السخيفة؟»

ابتسم روث ببرودة شديدة وقال: «ليس تماماً، لدي سببين آخرين.»

«مثلاً؟»

نظر اليها طويلاً قبل ان يقول: «مثلاً، ارغب في ان أناقش سبب تسللك الى حفلتي.»

«فهمت. وهل انت معتاد ايضاً على أن تحجز كل من ترغب في مناقشته؟»

عاد يبتسم لكن بلهو ومرح الآن قائلاً: «احتجز فقط من يتمنع في ان يخبرني بما أود معرفته.»

«سبق وقلت لك ما تود معرفته وايضاً سبب تسللي إلى حفلتك.»

«نعم، فعلت ذلك.» وتوقف ليرشف مرة اخرى من فنجان القهوة ثم تابع قائلاً: «لكن ولسوء الحظ، لا أصدقك، انني متأكد بأن هناك سبباً آخر... وأصرّ على ان أعرفه.»

عاد ليتناول فطوره بعد ما قاله أخيراً. نظرت لويزا إلى

جانب وجهه وتأكد لها انها لن تستطيع مراوغته أكثر، وبأنه لا جدوى من اخفاء السبب الحقيقي لتسللها إلى الحفلة اكثر من ذلك، خصوصاً وانها عندما تطلعه عليه سيطلق سراحها حالاً.

توجهت لويزا وجلست على كرسي تواجهه تماماً وقالت: «حسناً، سأخبرك بما تريد معرفته.»

نظر الى ملابسها قائلاً: «ارى ان الملابس التي اعرتك اياها لا بأس بها، لكن السروال واسع عند الخصر، فأرجو ان تذكريني بأن أعطيك حزاماً بعد ما ننتهي من طعام الفطور.»

أجابته بسرعة: «لن يكون ذلك ضرورياً.» ثم سكبت لنفسها بعضاً من عصير البرتقال وتابعت تقول: «لا يجدر بي أن اقلقك أكثر من ذلك، وحالما انتهي من فطوري هذا، سأغادر اليخت فوراً.»

ابتسم بخبث قائلاً: «هل هذا ما تعتقدينه؟ ستغادرين، يا آنسة بايكر، عندما أسمح لك بذلك.»

نظرت إليه بقلق وقالت: «لقد اخبرتك بما تريد معرفته، فليس من سبب بعد ذلك يدفعك لاحتجازي.»

«صحيح؟»

«بالفعل، سيسرك ان تراني مغادرة.»

«هل تعتقدين ذلك؟ يبدو انك واثقة كل الثقة بنفسك... هيا، فأنا لا أستطيع الانتظار بما لديك لتخبريني به.»

نظرت لويزا اليه نظرة استنكار ورفض، وتذكرت كيف كانت تتألم للذين يجرون معه مقابلات على شاشة التلفاز، وكيف كان يحطم كل عنفوان فيهم، فمهارتهم وذكاءهم لا

يقاسان بمهارته وذكائه. فبلسانه اللاذع وذكائه الحاد، كان بإمكانه ان يدمر كل من حوله ويحولهم إلى نكرة، ولا بد وانه يستمتع بكل ذلك لافتقاره الى الشفقة والعطف.

استوت لويزا في جلساتها وسكبت في صحنها قليلاً من الطعام وهي تفكر في أنها لا تخشى شيئاً من كل الأساليب التي يمارسها معها، بل تميل إلى المجادلة معه، ولكن بطريقة منطقية ومقنعة.

سكب لنفسه مزيداً من القهوة ثم قال: «هيا، انني انتظر كلامك، او ربما تفضلين ان تؤجلي ذلك إلى أن تنتهي من تناول فطورك؟»

نظرت اليه قائلة: «لا فرق عندي، لكن يبدو انك فقدت شهيتك للطعام.»

أسند ظهره إلى الكرسي بتعالٍ وقال: «في الواقع، كلي شوق لسماع اقوالك.»

أخذت لويزا تتناول طعامها بهدوء، ثم قالت بعد قليل: «ما رأيك بمن يدمر حياة اسرة بكاملها؟ وهل هذا عمل بعيد عنك؟»

قطب روث جبينه قائلاً: «تدمير اسرة؟ ارجو ان توضحي أكثر كلامك.»

شعرت بغضب شديد يجتاح كيانها، لأنه كان يعرف ما تقصده بكلامها وبأنه أذنب بحق شقيقتها، وتظاهره بالبراءة ليس سوى تغطية لذلك الذنب.

مالت نحوه قائلة: «تدمير اسرة يعني، عندما يفصل اي رجل امرأة عن زوجها وأولادها، وأعنيك أنت بكلامي، يا سيد المان وبأنك مدّمر أسرة.»

تجاهل الأمر مرة أخرى وقال: «واية اسرة تتهمينني بتدميرها؟»

نظرت لويزا اليه بنفاد صبر وقالت: «لا أعتقد انك نسيت من اعني، الا في حالة واحدة فقط، أن يكون لديك العديد من النساء المتزوجات في حياتك، وهذا ما لا يدهشني ابداً.»

رشف روث المان من فنجان القهوة ثم قال بهدوء: «لم اكن ادرك بأنهن متزوجات.»

«صحيح؟ تريد أن تقنعني بأنك لم تكن تعرف ان شقيقتي ريتا كانت متزوجة؟» ضحكت ساخرة ثم تابعت تقول باستهزاء: «أعتقد ان هذا القول لا يصدق، خصوصاً وانك قمت بزيارتها في منزلها والتقيت بزوجها واولادها في ما مضى!»

خيم الصمت عليهما لفترة وجيزة ثم قطعه روث المان ضاحكاً بلطف وقال بعد ذلك: «إذن، أنت شقيقة ريتا؟»

اجتاح لويزا غضب شديد في داخلها منعها لفترة عن التكلم وقد تذكرت عندما كانت في الاسبوع الماضي في منزل شقيقتها وحاولت بشتى الوسائل ان تهدىء اعصاب الزوج آلان، الذي رأى المستقبل قاتماً دون والدة لولديه الصغيرين. وها هي الآن تنظر في وجه الرجل الذي سبب المأساة الدرامية لأفراد عائلة شقيقتها. وكل ما صدر عنه، انه ضحك ساخراً.

حاولت جاهدة ان لا ترمي بالبيض المقلي في وجهه، وعندما انتصرت على هذا الشعور قالت ساخرة: «يسعدني انك سمعت شيئاً مرحاً... واحب ان اؤكد لك ان زوج ريتا والولدين لا يشاركونك هذه المزحة!»

بدت قسمات وجهه باردة وهادئة، ونظر اليها بعينين ثاقبتين ثم قال: «هل أنت فعلاً شقيقة ريتا؟»

«نعم، انني فعلاً شقيقة ريتا، أيدهشك هذا الأمر؟»

«ليس هناك من شبه بينك وبينها ولا بشكل من الأشكال، كما انها لم تذكر امامي ان لها شقيقة.»

«حسناً، ها قد عرفت الآن بأن لها شقيقة وهي أنا. فريتا براونينغ هي شقيقتي.»

استوى روث في كرسيه واخذ يتأملها بعين فاحصة ثم قال: «لم أكن قط لأحزر ذلك، فهي سمراء، بينما أنت شقراء... كما انك نحيلة وأطول قامة منها... مع ذلك، ارى شبهاً بسيطاً في شكل الأنف وفي الخطوط التي تحيط بالفم.»

ثم أضاف وهو لا يزال ينظر إليها بتلك العين الفاحصة: «كما انك اصغر سناً منها بكثير، أليس كذلك؟ وهذا ما حيرني... واعتقد انك في الخامسة والعشرين أو السادسة والعشرين لا أكثر.»

أجابته قائلة: «انك على حق، فأنا في السادسة والعشرين، واصغر من ريتا باحدى عشرة سنة، لا نشبه بعضنا إلا بمفارقات بسيطة كالتي نكرتها.»

فكرت لويزا انه على الأقل يقرّ بمعرفة ملامح ريتا ولم ينكر اي شيء لغاية الآن. فاستوت في كرسيها قائلة: «حسناً، وبما اننا وصلنا إلى هذا الحدّ في حديثنا، فهل تتكرم وتخبرني أين أجدها الآن؟»

ابتسم ساخراً ثم قال: «اخبرك أين ريتا؟ اعتقد انك تعرفين عنها أكثر مني.»

«لا، لا أعرف مكانها. واعتقدت انها ربما تكون معك، ولذلك السبب تسلّلت إلى اليخت.»

نظر إليها بعينين عابثتين قائلاً: «وهل وجدتها على متن هذا اليخت؟»

«في الحقيقة لم أعرف شيئاً حتى الآن. انما تهيأ لي انني لمحتها ليلة البارحة في الحفلة... ولكنني لست متأكدة من ذلك، وعندما ضبطني في تلك الحجرة، كنت أحاول البحث عنها.»

ابتسم ابتسامة اظهر فيها عدم تصديقه لكلامها ثم قال: «فهمت. إذاً، كنت تبحثين عن شقيقتك وهذا ما لم يخطر على بالي أبداً... لكن لم يبدُ عليك وكأنك شقيقة تبحث عن شقيقتها.»

نظرت لويزا إليه مطوّلاً ثم قالت: «وماذا يعني كلامك هذا؟ وكيف يجب علي ان ابدو لتصدق كلامي؟»

«كان يجب ان تظهري أقل شكاً وسرية، فإذا كنت فعلاً تبحثين عن شقيقتك، فلماذا لم تتوجهي إليّ مباشرة بالسؤال عنها؟»

وافقت على كلامه في نفسها، انها تصرفت بطريقة مشكك بها وهذا يختلف تماماً عن طبيعتها، فقالت له: «في الأساس، اردت ان أتوجه إليك بالسؤال عنها، لأنني كنت اتوقع رؤيتها معك، ولما لم اجدها، أخذت افتش عنها بتلك السرية.» وتوقفت قليلاً لتجمع في رأسها حوادث الليلة الفائتة ثم قالت: «لكن وكما قلت لك، تهيأ لي انني لمحتها... وكانت ترتدي فستاناً أزرق اللون، وتقف قريبة منك ومن شخصين من ضيوفك. ثم اختفت بعد ذلك... بحثت عنها في

كل مكان من اسطح هذا اليخت ومع ذلك، لم استطع العثور عليها...»

«إذاً، لماذا لم تتقدمي نحوي؟ فلقد كنت اخبرتك أين تكون في ذلك الحين.»

«لقد قلت لك، انني كنت سأتوجه إليك...»

«لكنك لم تفعلي ذلك... لماذا؟»

ترددت لويزا للحظات قليلة، ثم قرّرت ان تبوح بالحقيقة له: «لم أتوجه إليك، لأنني شعرت فجأة بأن هناك شيئاً غريباً يدور ويجري.»

سألها ولم تتبدل ملامح وجهه: «ما هو ذلك الشيء الغريب؟»

«لا أعرف تماماً، لكن انتابني شعور بأن هناك شيئاً ما يجري.»

«ارجو ان توضحي كلامك أكثر.»

«لا أستطيع تحديد ذلك، وكان مجرد شعور لا أكثر.» وضاقت عينا لويزا أكثر ثم تابعت قبل ان يتمكن من التفوه بكلمة: «هل أنا مخطئة؟ وهل هناك فعلاً شيء يجري ويدور؟»

«مثل ماذا؟»

«لا أعرف، انت قل لي.»

«ليس لدي أي شيء لأقوله لك، حتى انني لا أدري ما ترمين إليه.»

تنهدت لويزا، لأنها هي الأخرى لا تدري ما ترمي إليه، لكن كان يخامرها شعور بأن هناك شيئاً ما لا يجري بصورة صحيحة، وهذا ما جعلها تستطلع أولاً ليلة البارحة قبل ان تباحثه بأمر شقيقتها ريتا.

وعادت تطرح عليه سؤالها الأول: «هل تعرف مكان شقيقتي؟»

«تعنين في هذا الوقت بالذات؟ لا، اخشى انني لا استطيع ان افيدك بشيء، ولكنها من المؤكد موجودة في مكان ما في ناسو وليس على متن هذا اليخت.»

«هل كانت هنا ليلة البارحة؟»

«ألم تقولي لي انك رأيتها؟»

«قلت لك انه تهيأ لي بأنني رأيتها، وأنا غير متأكدة من ذلك.»

جاءت نبرة صوته الآن موبخة وقال: «كيف لا يمكنك التأكد من ذلك، ألا تعرفين كيف تبدو شقيقتك؟»

زمّت لويزا بشفتيها مفكرة انه من المستحيل المجادلة مع روث المان، انه تماماً كالغوص في اعماق البحار دون العدة اللازمة له.

أخذت لويزا نفساً عميقاً ثم قالت: «طبعاً اعرف كيف تبدو شقيقتي، وعندما لمحتها لم اتأكد انها هي، فقد خفّ وزنها منذ آخر مرة رأيتها فيها، كما انها غيّرت تسريحة شعرها و...»

عاد ينظر إليها نظرة فاحصة ثم قال: «يتهيأ لي أنك لم تريها منذ فترة طويلة.»

«نعم، لم أرها منذ ستة أشهر.»

كادت ان تقول له، ان هذا ليس بأمر غريب، وانها وريتا لم يكونا يوماً قريبتين من بعضهما، ربما لفارق العمر بينهما، وكما انهما تعيشان كل منهما في جهة مختلفة من البلاد، لكنهما مع ذلك كانتا على اتصال دائم بواسطة الهاتف.

توقفت عن التفكير متسائلة لماذا عليها ان تبرّر نفسها أمام روث المان؟

قال لها أخيراً: «إذاً، لِمَ هذا الحماس المفاجيء للبحث عن شقيقتك؟»

«ذلك لأنني أريد ان أكلمها بالمنطق والعقل، وان اقنعها بالاقلاع عن تصرفها الغبي لتعود إلى زوجها وولديها وحيث مكان وجودها العائلي والفعلي.»

جاءت نبرة صوته ساخرة وهو يقول: «تدهشني كلماتك الحنونة والطيبة!»

«انني أقوم بذلك من أجل الولدين روني وابيغل.» ثم نظرت في وجهه تبحث فيه عن علامات الذنب والندم، ولكنها لم تجد شيئاً من هذا القبيل. فتحدّته قائلة: «ألا توافق معي بأنه ينبغي عليها ان تلتحق بأسرتها؟»

بقي روث صامتاً وكان من المستحيل عليها ان تدرك ما يدور في رأسه، فتنحنحت قائلة: «لا بدّ وانك توافق معي على ذلك.»

تابع النظر إليها بصمت ثم ضاقت عيناه قائلاً: «وما علاقتك بتصرفات شقيقتك الخاصة؟ ألا ترين بأنها ناضجة بما يكفي لتعالج أمور حياتها؟»

فكرت لويزا، انها فعلاً ناضجة كفاية ولا يمكن انكار ذلك أبداً، فقرّرت ان تقول له ما كانت تفكر به قبل قليل: «نعم، أوافقك على ذلك. لكن الظروف تختلف الآن، واعتقد ان شقيقتي بدأت تفتقد لسلامة ورجاحة عقلها.»

«وكيف ذلك؟»

أجابته بلهجة اكيدة: «اعتقد ان الجواب على ذلك واضح، لقد هربت معك، و...»

قاطعها قائلاً: «وتعتقدين انه ولا امرأة راجحة تفعل ما فعلت؟»

«لا، لا اعتقد ذلك أبداً.» واحمرت وجنتا لويزا خجلاً، وعالجت حرجها بأن اسرعت تقول: «اعتقد ان العديد من النساء تقمن بذلك، خاصة وان لك هذه الوسامة والجاذبية...» توقفت عن الكلام وقد انزعجت من نفسها ومن الكلام الذي قالته أخيراً، ثم تابعت تقول: «تعلم جيداً ما اقصده.»

ضحك روث وكأنه يزيد من الاحراج الذي تعاني منه وقال بعد ذلك: «وأنت أجمل امرأة وقعت عيناي عليها، وتعلمين ما اقصده.»

ازدادت لويزا خجلاً وهي تنظر في عينيه السوداوين وقد احست بشعور غريب يتملكها.

ثم انّبت نفسها وعاتبتها بأن هذا الرجل اللعين الذي يجلس أمامها هو صديق لشقيقتها. وقالت بعد ذلك: «ان شقيقتي زوجة ووالدة، ولم تكن لتهجرهم لو انها لم تنخدع بعواطفها.»

عاد الصمت يخيم من جديد عليهما، ثم قطع روث الصمت ليقول من دون مبالاة: «في استطاعتي ان اخبرك عن هؤلاء الفضوليين الذين يحاولون دائماً ان يتدخلوا بحياة غيرهم من الناس.»

نظرت لويزا إليه بحدة وقالت: «هذا هراء! كما انني لست كذلك!» مع ذلك، فالاتهام الذي وجهه إليها كان صحيحاً نوعاً ما. فقد اعتادت ان تحشر نفسها في مشاكل وهموم الناس، لأنه كان يُطلب منها ذلك ولم ترفض يوماً لأحد أي طلب.

أخذت تتذكر كيف حشرت نفسها بمشكلة شقيقتها لأول

مرة، فقد تلقت اتصالاً عاجلاً من آلان زوج شقيقتها مما دعاها إلى السفر من لندن إلى يوركشاير بالقطار. ثم امضت معه يومين، امضاهما يتوسل إليها باكياً لتقوم بأي شيء حيال هذا الأمر.

ومما قاله أيضاً: «اعرف انك مسافرة إلى الولايات المتحدة للعمل، فلا اعتقد ان الأمر سيكلفك كثيراً لو انك قمت برحلة سريعة إلى ناسو. انك انت الوحيدة التي يمكنها ان تساعدني في هذه المحنة، فهي مفتونة بذلك الرجل ولن تسمعني وتصغي إلى توسلاتي.»

كان ما قاله صحيحاً، ولكن هل ستستجيب ريتا وتحاول الاصغاء إليها يا ترى؟ ربما قد تغضب منها وتجعل الأمور أسوأ مما هي عليه.

كان عليها ان لا تترك هذا الأمر يسوء أكثر مما هو عليه، وان تحاول التفكير أكثر وأكثر من اللازم من أجل آلان والولدين.

تذكرت أيضاً كيف ان آلان أخذ يتوسل إليها قائلاً: «فكري في روني وابيغل يا لويزا. انهما في أمان في الوقت الحاضر ويمضيان عطلتهما في فرنسا، ولكن العطلة ستنتهي بعد ثلاثة أسابيع فما الذي سيفعلانه من دون والدة تحنّ عليهما وتدير شؤونهما؟ فكري بهما يا لويزا، وحاولي المس[illegible] لأجلهما.»

كيف يمكنها ان ترفض طلبه هذا؟ وتذكرت كيف شاهدت التوأمين اللذين يبلغان من العمر عشر سنوات، لآخر مرة مع والدتهما، وكيف انه لم يأت ببالها يوماً، ان ريتا قد تقدم على هجرهما.

واعتقدت لويزا بعد ذلك، ان ذاك الهروب مع روث المان، سببه دافع جنوني ولا بد ان تصحو منه. لأنها تعرف شقيقتها ريتا حق المعرفة وكيف ان ولديها بالنسبة إليها وكأنهما العالم بأسره.

ووافقت ان تعمل جهدها بعد توسلات آلان، والغت عطلتها التي قرّرت ان تقوم بها إلى نيو اورلينز، وكم تمنّت لو انها ليست مضطرة إلى السفر إلى ناسو للحاق بشقيقتها، ولكن ليس في وسعها ان تفعل غير ذلك.

كان روث المان طوال الوقت وهي تفكر، يراقبها ويرسم ابتسامة غير مبالية على شفتيه، فقال لها قاطعاً عليها حبل أفكارها: «إذاً، ما الذي ستقولينه لشقيقتك عندما تلتقين بها؟»

نظرت لويزا إليه بتحدٍ وقالت: «سأقول لها، ان هذه العلاقة الرخيصة لا تستحق منك ان تتركي اسرتك وتلتحقي بها.»

ضحك عالياً لذلك ثم قال: «وما الذي يجعلك تعتقدين انها علاقة رخيصة؟ وما الذي يجعلك تعتقدين انها ليست علاقة حب حقيقية؟»

ضحكت لويزا هي الأخرى الآن، لكن بمرارة وألم. ثم قالت: «آه، اعرف تماماً بأن ما بينكما ليس صداقة حقيقية، وبالأخص من ناحيتك.» وابعدت نظراتها عن روث وتذكرت بعضاً من تلك الرسائل التي أراها إياها آلان والتي لم ترسل إلى روث المان وقد جاء فيها كلام يفتت الأكباد من العاطفة واللوعة تجاهه.

وشعرت لويزا بألم سحيق في داخلها، بينما بدا على وجه روث عدم الاكتراث واللامبالاة.

نظر روث إليها نظرات عميقة ثم قال: «وما هو الضرر من علاقة كهذه؟»

«لا ضرر منها بالنسبة لأشخاص مثلك.»

لم يعارض على ما قالته، بل تابع كلامه وهو يبتسم لها: «وأنت، ايتها الشقيقة الصغرى، ما رأيك بالعلاقات العابرة؟»

أجابته بحدة: «لا أقيم أية علاقات.»

«لماذا؟»

أجابته وهي تشعر بالخجل من صراحته: «ان أكثر ما يهمني الصداقات الجدية.»

«الصداقات؟ تعنين انه لا يوجد في حياتك رجل مميز؟»

تساءلت لويزا كيف استطاع ان يحلل ذلك، انه فعلاً حاد الذكاء أكثر مما تصوّر لها.

فأجابته قائلة: «اعتقد ان ذلك ليس من شأنك. ولكن... وإذا اخذنا الأمر من ناحية أخرى، اعتقد بأنه يهمك ان تعرف ذلك.»

«إذاً، ما هو العائق؟ فأنت امرأة جذابة. انني لأتعجب كيف لم تلتق بأي رجل يعجبك حتى الآن.»

نظرت إليه لويزا نظرة باردة وقالت: «ومن قال انني في حاجة إلى رجل؟ انني، استطيع ان اتدبر أمور حياتي من دونه.»

«هذا يعني انك لا تشبهين شقيقتك حتى في هذه الناحية أيضاً.»

اعتبرت لويزا ما قاله إهانة لها، وأرادت ان تعترض على كلامه، لكن اعتراضها لن يكون له أية قيمة لأنها تعلم وفي قرارة نفسها ان ما يقوله صحيحاً.

لكنها نظرت إليه وقالت بتحدٍ: «لماذا سمحت لنفسك بذلك، وانت الذي تعرف منذ البداية بأنها متزوجة!»

«لقد كانت تعلم ذلك هي أيضاً...»

دخل أثناء الحديث أحد أفراد طاقم اليخت ليقول له: «هناك اتصال لك من هيوستن يا سيدي، أترغب بأن ترد عليه هنا؟»

وقف وعيناه لا تفارقان لويزا ثم قال: «لا، سآخذ المكالمة في غرفة مكتبي...» ثم توجّه بحديثه إلى لويزا قائلاً: «انك تضيعين وقتك هنا، فشقيقتك ليست على متن هذا اليخت، يمكنك إذا اردت، ان تفتشيه بحرية مطلقة، ولكن ان كنت مشتاقة لرؤيتها، اقترح عليك في هذه الحالة، ان تبحثي عنها في مكان آخر... وستأتي طائرة مروحية بعد نصف ساعة محمّلة لي ببعض الحاجيات، فاعلميني ان كنت ترغبين بالعودة فيها.»

بقي واقفاً مكانه ثم تابع يقول: «ربما يجب ان الفت نظرك أيضاً بأنها ستكون فرصتك الأخيرة للعودة إلى ناسو، لأنني سأمضي بضعة أيام في البحر.»

أخذت لويزا تفكر وتنظر إليه باحباط في عزيمتها بينما كان يبتعد عنها. وقد صدقت ما قاله، بأن ريتا ليست على متن هذا اليخت، وهذا يعني ان بقاءها هنا ليس ضرورياً بعد الآن.

سكبت لنفسها مزيداً من القهوة وقد شعرت ببصيص من الأمل، بما ان ريتا ليست موجودة هنا، فقد تكون عادت إلى بريطانيا وان المشكلة قد حلّت عقدتها بكل بساطة، ولم يعد لديها مبرر لبقائها.

لكنها ومع ذلك لم تتوقع من شقيقتها ذلك بالنسبة لما قرأته في رسائلها لروث، ولا بد انها ما زالت في مكان ما في البهاماس. وحدقت لويزا في الأفق وهي تفكر باصرار، في أنها يجب ان تعود إلى ناسو لتعثر عليها مهما كلف الأمر.

جاء في تلك اللحظات مضيف يحمل ابريقاً جديداً من القهوة. التفتت لويزا نحوه قائلة: «من فضلك، قل للسيد المان انني قرّرت ان أعود إلى ناسو في الطائرة المروحية.»

وكانت بعد ساعة جاهزة تنتظر على سطح اليخت وقد لفت فستانها الأخضر وحقيبة يدها وحذاءها بورقة سمراء. وظهرت الطائرة بعد وقت قليل في السماء، حسناً ان روث ليس قريباً منها، لأنه يسعدها ان تغادر هذا اليخت دون ان تقع نظراتها عليه أخيراً.

حطّت الطائرة محدثة ازيزاً مزعجاً، وساعد لويزا التصعد إليها، أحد افراد طاقم اليخت ثم جلست على المقعد بينما كان يقول لها الطيّار: «سأغيب لدقيقة واحدة، فأرجو ان تشعري بالراحة والاطمئنان.»

نظرت إليه وهو يقفز إلى سطح اليخت ويسرع إلى الجانب الآخر منه حيث ظهر فجأة روث.

رفع روث نظره لينظر إليها فجأة. وشعرت بشيء من وراء ابتسامته ادخلت الشك إلى قلبها.

تساءلت في ما لو كانت تقوم بالخطوة الصحيحة، أو ربما قامت بقرار بعيد جداً عن الحقيقة، ذلك لأنه كانت تبدو عليه امارات الرضى والارتياح.

قرّرت في لحظة واحدة، بينما كان الطيّار يعود إليها،

بأن تفك حزام الأمان وتقفز مجدداً إلى سطح اليخت، وفي الوقت الذي صعد فيه إلى الطائرة.

قالت له: «انني لن أعود، لكن أرجو ان تبعث هذه الرزمة بواسطة سيارة أجرة، إلى العنوان الملصق عليها.» ثم سحبت من جيبها ورقة العشرين دولاراً وناولته إياها قائلة: «اعتقد ان هذه القيمة ستغطي كافة المصاريف.»

تجاهلت نظرات الطيّار المتسائلة واسرعت تجري على سطح اليخت ولم يكن أي اثر لروث وهذا شيء جيد، فهي لا تريده ان يمنعها عن عملها هذا. لقد خامرها شك مفاجيء وأكيد، بأن الطريقة الوحيدة لمعرفة مكان ريتا، هي في ان تبقى إلى جانب روث.

ظهر روث أمامها من جديد وهو يبتسم بوجهها قائلاً: «إذاً، قرّرت البقاء. لم اتصوّر بأنني قد أخطط يوماً لشيء أفضل من ذلك.»

ابتسم لها عند ذلك ابتسامة المنتصر واستدار مبتعداً عنها، وادركت عندما تملكها رعب شديد ما كان يقصد من عمله.

لقد تحايل عليها بأساليب ملتوية لتبقى معه، وهو منذ البداية لم يكن يود ان تغادر يخته، ولشدة غبائها انطلت عليها الحيلة.

استدارت واسرعت نحو الطائرة التي بدأت تتحرك الآن من مكانها وصاحت: «قف! انتظرني!»

لكن الطيّار لم يسمعها وبدأ بالارتفاع بالطائرة تاركاً آخر فرصة لها للعودة إلى ناسو.

الفصل الثالث

اخذت لويزا تراقب الطائرة المروحية وهي تبتعد، وداخلها شعور بالاسى والانزعاج. لقد أراد روث لها البقاء لأسباب لم تستطع فهمها، كان يظهر لها التعاون والمساعدة لتقوم بالعمل المعاكس، وتلاعب بأفكارها ايضاً بما يرغبه ويريده.

احست بالخوف الشديد وهي تحدق بالمحيط المتلألىء تحت اشعة الشمس، والهواجس المقلقة تنتابها لأنها ستنزل ضيفة على روث لعدة أيام، لقد كان القرار الأخير للمغادرة بمتناول يدها وقد رفضته من أجل فكرة طرأت على رأسها، لقد اعتقدت بأن كل ما تريد معرفته عن شقيقتها يكمن في صدر روث، وسوف يرشدها إلى مكانها عاجلاً أم آجلاً.

اتكأت لويزا على درابزين اليخت وهواء البحر يتلاعب بشعرها الطويل، ثم اخذت تستجمع في رأسها الاسئلة التي تريد أجوبة عليها.

سؤال واحد حيرها اكثر من غيره، وهو لماذا احتال روث عليها ليبقيها معه؟ بينما اتضح لها بأنه يرغب بأن تغادر وبسرعة.

كان في استطاعته ان يجبرها لكي تعود إلى الطائرة، ولكنه لم يفعل ذلك. ضغطت لويزا على شفتها السفلى وهي ما زالت واقفة تراقب الأفق، فلم يكن من جدوى لطرح تلك

الأسئلة على نفسها، بينما وحده روث الذي يملك الأجوبة عليها.

دارت حول نفسها تبحث بنظرها عن روث الذي اختفى كلياً الآن. ثم مشت بعزم إلى مقدمة اليخت بحثاً عنه ولتنتزع منه كل ما تريده.

التقت بربّان اليخت. وبالسكرتيرة الخاصة لروث وبالمضيف، ولم تحصل منهم إلا على جواب واحد، ألا وهو: «ان السيد المان مشغول الآن، ولا يمكن ازعاجه. ولكننا سنبلغه بأنك تودين رؤيته.»

في آخر النهار، عادت تطرح نفس السؤال على مضيف اليخت الذي لا صلة له بهذا الأمر: «ارجوك، ابلغه بأنني أود رؤيته لأمر مهم... قل له انني كنت اسأل عنه طوال هذا النهار.»

طأطأ المضيف برأسه قائلاً: «سأبلغه، يا آنسة بايكر... لا تقلقي سأتاكد بنفسي أن رسالتك وصلته.» وتناول عدداً من المناشف الخضراء عن الرف في غرفة للبياضات.

«شكرا. لن انسى صنيعك هذا.»

كانت لويزا على وشك الابتعاد عنه، عندما وقع نظرها على منشفة خضراء اللون كبيرة كتب عليها بأحرف صفراء، لغرفة الرياضة. إذاً، فهناك يحجز روث نفسه طوال النهار ويدعي بأنه منشغل جداً. وإذا لم تكن مخطئة، فهذه المناشف التي بين يدي المضيف، في طريقها إليه في غرفة الرياضة.

تظاهرت بالابتعاد وبعدم المبالاة، ثم اختبأت في مكان لا يستطيع المضيف ان يراها فيه، إلى أن سمعت باب غرفة

البياضات يقفل، وشاهدت المضيف يدخل في ممر ضيق، فلحقت به بسرية تامة.

اكتشفت أن غرفة الرياضة تقع في القسم العلوي من اليخت، وعادت تختبىء بينما اختفى المضيف ودخل الغرفة، فبقيت في مخبئها عشر دقائق، ثم خرج منها يصفّر مزهوّاً بنفسه ونزل إلى القسم الأسفل من اليخت. اخذت لويزا عند ذلك نفساً عميقاً، فالطريق ملكها الآن لتفاجىء الأسد في عرينه.

ها لها ما رأته في غرفة الرياضة المنسقة، وقد شاهدت انواعاً من ادوات الرياضة تتدلى من سقف الغرفة واخرى وضعت على ارضها الخشبي الفخم.

ولكن الذي استرعى انتباهها اكثر من أي شيء آخر، روث الذي تمدّد على الأرض يرفع أثقالاً حديدية يعجز عن رفعها الابطال.

«إذاً، لقد استطعت أن تقتفي اثري.» قال روث ذلك فجأة مما جعل لويزا تقفز من مكانها بغتة. ودهشت كيف تكلم بارتياح ودون أن يلهث وهو على هذا الوضع في حمل الاثقال الحديدية.

تقدمت نحوه قائلة: «اريد أن اتحدث معك.»

«حول ماذا؟»

تابع تمريناته الرياضية دون أن ينظر إليها. واخذت لويزا تراقبه، كيف يقوم بهذا العمل بكل بساطة ومرونة، ثم قالت: «اريد أن أسألك، لماذا ترغب في أن ابقى هنا؟»

نظر إليها عند ذلك وعيناه تشعّان عبثاً ولهواً ثم قال: «اعتقد انه يجب أن اعكس السؤال، واسألك أنا، لماذا قرّرت أنت البقاء هنا؟»

«بقيت لأنني متأكدة من أنك تعلم مكان ريتا، وبطريقة أو بأخرى سأحملك على ان تخبرني بذلك.»

سكتت قليلاً لتلتقط انفاسها ثم تقدمت بحذر خطوة إلى الأمام وتابعت تقول: «انما الذي لم استطع فهمه، لماذا تريدني أن أبقى؟»

تابع يرفع الاثقال الحديدية وهو يجيب بنبرة هادئة دون أي شعور بالتعب: «ومن قال لك ذلك؟ وما الذي يجعلك تعتقدين هذا؟»

أجابته بكل ثقة: «لأنك سمحت لي بالبقاء ولم تجبرني على الرحيل.»

نظرت إلى وجهه وقد أخذت تشعر بأحاسيس غريبة في داخلها، ثم تابعت قائلة عندما لم تحصل على أي جواب منه: «لقد سمحت لي أن ابقى وذلك لأنك تريد ذلك... وعلى ما اعتقد بدأت افهمك لافترض هذا الافتراض.»

«تشعرين بأنك بدأت تفهمينني؟»

«قليلاً، ولكن رغماً عني.»

ابتسم روث قائلاً: «إذاً، اخبريني انتِ لماذا اريدك أن تبقي؟»

«لا استطيع أن اعطيك جواباً، فلماذا لا تقول لي أنت؟»

تابع يرفع الاثقال دون تعب أو كلّل، ثم وبصورة مفاجئة وضع الاثقال جانباً ووقف إلى جانبها قائلاً: «لا بدّ أن فتاة ذكية مثلك، قد تتوصل إلى جواب عن هذا السؤال.»

تراجعت لويزا إلى الوراء وقد شعرت بقلبها يكاد يهوي من مكانه، ثم قالت بصعوبة وهي تشعر بجفاف في حقلها: «كيف لي أن اعرف الأسباب التي لديك؟»

تناول روث منشفة قريبة منه وأخذ يجفف شعره الرطب: «لا بد وأنك فكرت بتلك الأسباب.»

«لقد فعلت ذلك فعلاً، ولكنني لم اتوصل إلى شيء، وبما أنني لا استطيع قراءة افكارك، فلماذا لا تخبرني أنت بالذي اريد أن اعرفه.»

قال وهو يتابع تنشيف شعره: «انكِ تدهشينني حقاً.»

نظرت إليه وقد شعرت بانجذاب نحوه، لكنها سرعان ما رفضت تلك الفكرة قائلة له: «ولماذا ادهشك؟»

وضع المنشفة جانباً وقال: «لأنك صحافية، واعتقد أن الصحافيين عندهم خبرة ليصلوا إلى ما يريدونه دون عناء.»

دهشت لويزا لهذا التعليق، لأن روث لم يقل يوماً كلمة طيبة عن الصحافة، وقرّرت عدم مناقشته بهذا الموضوع الذي لا علاقة له بالذي جاءت لأجله.

قالت وقد لاحظت سقوط المنشفة التي استعملها على الأرض: «ماذا هناك؟ لِمَ لا تخبرني لماذا تريد احتجازي عندك؟» ثم انحنت لتلتقط المنشفة.

وتفاجأت عندما اعترض قائلاً: «اتركيها حيث وقعت. فأنا لست في حاجة لك أو لغيرك ليلتقط ما وقع مني.»

«لكن...»

«لكن، ولا شيء!» وسحب بعنف المنشفة من يدها وعاد يرميها على الأرض. ثم قال: «لا استطيع أن اتحمل النساء اللواتي يحاولن تنظيم اموري.»

«لكنني لم أكن احاول أن...»

توقفت لويزا عن الكلام فجأة وحتى عن التفكير بكل ما

يقلقها، لتفكر به وبكلامه وبشعورها نحوه والذي كان جديداً عليها.

انبت نفسها على شعورها هذا.

قال لها: «لا داعي لهذا الخوف.»

نظرت لويزا إليه بحدة وقالت: «لست خائفة، ولكني لم اعتد على ذلك.»

ابتسم لها ابتسامة ساخرة وقال: «نعم، اعتقد حقاً انك لست كذلك. وبالأخص بعدما اخبرتني عن صداقاتك تلك.»

وتذكرت فجأة ما الذي يعتقده بشقيقتها والتي هي على عكسها تماماً، وشعرت فجأة أنها بحاجة إلى صديق مخلص وهذا الصديق هو روث المان، ولكن كيف يمكنها أن تفكر في هذا كله بينما هو يجب أن يكون آخر رجل في العالم تفكر فيه.

بقي روث على حاله يبتسم وينظر إليها بعينين ناعستين ثم قال: «هل توصلت الآن إلى جواب يفيدك لماذا من المفترض أنني اريد الاحتفاظ بك؟»

اجابت لويزا وقد توصلت إلى جواب نهائي في رأسها: «ربما لأنك تريدني أن ابقى بعيدة عن ريتا، كي لا اؤثر عليها بالابتعاد عنك؟»

نظر في عينيها قائلاً: «هذا جواب لم افكرفيه قط. لكن هل تستطيعين فعلاً التأثير على شقيقتك.»

«سافعل ما في وسعي لأحقق ذلك.»

«آه، نعم، يمكنك ذلك، خاصة وانني ادركت طبيعتك في التدخل بأمور الناس... لكن هل ستصغي اليك؟»

أجابته لويزا وقد ابعدت نظراتها عنه: «أرى أن هناك

فرصة سانحة لذلك.» ثم عادت تنظر إليه بحدة وقالت: «لماذا؟ هل يزعجك ذلك؟»

ضحك قائلاً: «وهل تعتقدين أن ذلك يزعجني لدرجة أن احتفظ بك على متن هذا اليخت بعيدة عنها؟ لقد آن الأوان لتتعرفي على طبيعة نفسي. فعندما أرغب بشيء، احصل عليه، واحتفظ به، ولا اسمح لأحد بعد ذلك لأي كان أن يأخذه مني.»

كان ذلك واضحاً جداً للويزا. فقالت وهي تنظر مباشرة إليه: «هل تحب شقيقتي؟»

أجابها وعيناه لا تفارقانها: «من الذي تكلم عن الحب الآن؟ لقد ذكرت بأنني احصل واحتفظ بكل ما اريده، وليس عن الحب.»

شعرت لويزا بقشعريرة باردة تسري في عروقها من الذي قاله، ولكن هل كانت تتوقع من رجل مثله شيئاً افضل من ذلك؟ فمن المستحيل ان تتصور روث المان يحب ويخلص للحب.

راقبته بصمت وهو ينحني ليلتقط قطعة صغيرة من الاثقال واخذ يلهو بها. فوقع نظرها على عضلات ذراعه القوية، ثم ابعدت نظراتها عنها لتتابع قائلة: «نعم، انك على حق. فلا علاقة للحب بالذي تكلمت عنه، لأنه بالنسبة إليك هناك نهاية للذي تحتفظ به، سواء اكان شيء أم مخلوق بشري.»

رفع حاجبيه بفضول وقال: «اوضحي كلامك أكثر.»

قالت وقد شعرت بالضجر من ذلك الحديث: «آه، لا اعتقد أن ذلك ضروري.» ثم جلست على مقعد طويل حيث القيت

المنشفة فوقه وتابعت تقول: «اعرف بأن كلانا يفهم ما أرمي إليه.»

أخذ ينقل الثقل الحديدي من يد إلى يد قائلاً: «ربما أنت، أما أنا فلا اعرف ما ترمين إليه... لقد ضللّتني واريد توضيحاً لذلك.»

فكرت لويزا كم أنه ممثل بارع في البراءة! ثم قررت أن تصفعه بالحقيقة فقالت: «ألا تعتقد بأنك اخذت اكثر ما فيه الكفاية من الآن زوج شقيقتي؟»

أخذ يزن الثقل الحديدي بيده وكأنه يزن السؤال الذي طرحته عليه ثم نظر إليها نظرة باردة وقال: «افهم انك تتكلمين بأمر الشركة؟»

«هذا صحيح، وأعني شركة آلان زوج شقيقتي.»

«ليس بعد اليوم، فشركته اصبحت ملكاً لي الآن. وقبل أن توجهي اتهاماتك إلي، أحب أن اخبرك بأن الشركة كانت على عتبة الافلاس عندما استلمت ادارتها، وقد اسديت خدمة لآلان لا تقدر بثمن.»

ابتسمت لويزا ساخرة. تذكرت انه في البداية تبين الأمر وكأنه يسدي خدمة لآلان الذي ابدى ارتياحاً وبهجة عندما وضع روث مبلغاً لا يقدر لاستثمار الشركة ولينقذها من شبح الافلاس.

وتابع روث قائلاً: «لقد انقذت الشركة ولن تتعرض مرة اخرى للافلاس.»

لقد انتعشت عندها الشركة فعلاً وازدهرت اعمالها، بينما وبالمقابل، خسر آلان عمله وزوجته.

تحدته لويزا قائلة: «كيف يمكنك ان تسمي ذلك خدمة منك،

عندما وعدت آلان أن يبقى فيها مديراً مسؤولاً ومن ثم وبعد ثلاثة اشهر طردته منها؟»

«لدي اسباب لطرده من الشركة.»

«نعم اعرفها، وذلك لأنك تفضل مديراً يوافق على كل كلمة تقولها ويكون طوعاً لأوامرك دون مناقشتك فيها، لذا تخلصت من آلان لأنه حر الضمير ولا يوافق على بعض الأمور.»

«اهذا ما اخبرك به؟»

«نعم... لكن، لماذا تسأل؟ وهل لديك اسباب اخرى غير تلك؟»

«تستطيعين القول انه لم تعجبني بعض الاشياء التي كان يقوم بها، وكنا نرى الأمور بمنظار متوافق مع زوجته، ولم تعاني من أية مشكلة في ذلك.»

كان آلان قد اطلع لويزا سابقاً بأن روث بقي في يوركشاير ساعياً وبعزم لينهض بالشركة، وكان في الوقت نفسه يحاول أن يجذب زوجته إليه.

لكن لا بد وأن يشعر روث بالندم والخجل لعمله الدنيء، لكنه كان يبتسم بكبرياء وعدم مبالاة.

قال روث بعد ذلك ببرود: «افهم أن آلان اخبرك بذلك أيضاً.»

«لقد اخبرني آلان بكل شيء.»

«يبدو ذلك واضحاً.»

«نعم ومنذ بداية هذه المشاكل، حتى وقبلها، كنت تخرج مع زوجته.»

«وما العيب في ذلك، اليس هذا الأمر من الأمور الطبيعية؟»

نظرت إليه مستنكرة وقالت: «انك رجل لا يعرف العيب، ألا يهمك انها زوجة لرجل آخر؟»

«اعتقد أنه كان عليها هي أن ترفض ذلك، ألا تنسى أنّ لديها مسؤولية اسرة.»

«وماذا عن ولديها؟ ألا تشعر بأنك انت السبب بهجرها لهما؟ ألا يهمك شيء من هذه الدنيا سوى الامتلاك لكل شيء؟»

كانت تتكلم بعاطفة صادقة تجاه عائلة شقيقتها بينما كان هو يتابع نقل الثقل الحديدي من يد إلى أخرى بلا مبالاة ولا شفقة.

عند ذلك، أخذت لويزا نفساً عميقاً ثم قالت بحدة: «لماذا قمت بذلك؟ ولقد اعترفت بأنك لا تحبها.»

بدت ملامح وجه روث متحجرة كالصخر وهو يقول: «ربما عليك أن تسألي لماذا فعلت هي ذلك، وهي المرأة المتزوجة والتي لديها ولدين.»

نظرت لويزا إليه ولم تستطع أن تمنع نفسها من الاعجاب به بالرغم من كل ذلك، ثم أمعنت النظر في عينيه قائلة: «لكن سبب قيامها بذلك واضح جداً! فحياة شقيقتي الزوجية لا حماس فيها ويمكن أن تعتبرها مملّة وروتينية. فتعرفت على رجل مثلك، مشهور بتنظيم حياته... ويملك يختاً في البهاماس، وسيارة رولز رويس، ولم يكن من الصعب عليك ابداً أن تجعلها تنجذب إليك.»

«انك تجامليننني.»

«لم يكن في نيتي ذلك.»

«لكنك فعلت، وإذا لم تتوقفي عن توجيه الاطراءات لي، فسيتصوّر لي بأنك معجبة بي.»

وتورّد خداها عندما قالت: «قد تكون غلطة كبيرة لو فعلت ذلك.»

اتسعت ابتسامته وقد لاحظ خجلها ثم قال: «تبدين جميلة عندما يتورد خداك تماماً مثل براءة الاطفال، لست ابداً مثل ريتا، فأنا لم أرها مرة على مثل هذه الحالة.»

شعرت لويزا بقلبها وكأنه طير يرفرف بأجنحته، ثم هتف شيء بداخلها يقول لها ان هذا الرجل صديقاً لشقيقتك، وهو يحاول خداعك كما خدعها.

قالت له: «ارجو ألاّ تنسى بأنني شقيقة ريتا وامورها تعنيني بقدر ما تعنيها، لذا اطلب أن تتوقف عن مقارنتي بها.»

«نعم، معك حق.» قال ذلك ثم انحنى ليعيد الثقل الحديدي إلى مكانه في العلبة وقال بعد أن انتهى من ذلك: «سأذهب الآن لآخذ حماماً ينعشني، ان كان لا مانع لديك.»

اخذت لويزا نفساً عميقاً واجبرت نفسها على التركيز فقط بالمهمة التي جاءت من اجلها.

ثم قالت بينما كان روث يبتعد عنها: «الن تخبرني بمكان وجودها؟ فأنت حتماً لا تريدها الآن... دعني اذهب إليها لاقنعها بالعودة إلى زوجها وولديها.»

تجاهل كلامها وتابع سيره، فأسرعت وراءه وقد اجتاحتها موجة شديدة وملحة لتضع حداً لذلك النقاش في ما بينهما.

«أرجوك! ليكن عندك رحمة، فكّر بالولدين... واخبرني بمكانها، ذلك سيكون خيراً على الجميع.»

استدار نحوها بعنف وقال بقسوة كادت ان تجعل لويزا

تنهار امامه: «الا تصغين عندما اتكلم؟ فلا تضايقيني أكثر من ذلك. لقد سبق وقلت لكِ انني لا اعرف مكان وجودها الآن!»

ابتعد عنها بينما كانت لويزا تتابع توسلاتها إليه: «لكن لا بد وأن لديك فكرة ما عن مكان وجودها، ولا أصدق بأنك لا تعلم عنها شيئاً!»

كان روث قد وصل في تلك الاثناء إلى باب الحمام وفتحه وهو يقول: «لقد انتهيت من الموضوع، ولا ارغب في مناقشته اكثر من ذلك!»

لكن ذلك لم يوقف لويزا فتابعت تقول: «ماذا هناك؟ هل افترقتما عن بعضكما ولهذا السبب لا تعرف مكانها؟»

تجاهل سؤالها فعادت تقول: «الهذا السبب؟» لكن روث اقفل الباب بعنف وراءه هذه المرة.

وقفت لويزا تنظر إلى الباب المقفل وقد اشتعلت غضباً، فلها الحق في أن تطرح عليه اسئلتها، وعليه وبمسؤولية أن يجيب عليها كلها!

تقدمت من الباب وصاحت من ورائه: «لقد طرحت عليك سؤالاً!»

فأجابها من الداخل: «لقد قلت لك ان الموضوع انتهى الآن.»

قالت بصوت عالٍ: «فقط لأنك قلت ذلك؟ أنا لا اوافق على ما قلته ابداً!»

وعندما لم يجبها تابعت تقول: «كل الذي اطلبه منك، هو ان تخبرني بمكان وجودها. أو أين من المحتمل أن تكون الآن.»

تجاهل كلامها. وادركت لويزا انها لن تستطيع أن تأخذ منه شيئاً وهو في هذا المزاج، لكن توترها الشديد اجبرها لأن تعيد عليه السؤال: «أجب فقط عن سؤالي، هذا كل ما اطلبه منك.»

علا صوته من الداخل قائلاً: «لقد قلت لك ان الموضوع اقفل الآن.»

«لن يقنعني ذلك ابداً. ارجوك، هل تسمعني؟»

انتهى روث من حمامه وخرج إليها قائلاً: «لقد سئمت منك ومن الاعيبك السخيفة!»

أجابته بلهجة متوترة وغاضبة: «أنت الذي يقوم بتلك الألاعيب السخيفة!»

أخذ يرتجف بعنف وقد اشتعل من الغضب: «توقفي عن سخافاتك، هل تعتقدين بأنني رجل غبي امامك؟»

«لا اعرف ماذا تقصد بذلك!»

عاد يصيح حانقاً: «لنوقف هذه المهزلة وفي هذه الدقيقة بالذات، وتوقفي عن التظاهر بأن سبب وجودك هنا من أجل شقيقتك، وكلانا يعلم بأنها كذبة وقد طال امدها.»

«لا افهم ما تحاول قوله.»

«نعلم كلانا سبب وجودك الحقيقي هنا... وسبب قرارك النهائي للبقاء!»

«تقول كلانا؟»

«نعم، كلانا.»

«لكنني لا اعرف السبب، وعليك أن تخبرني به.»

«توقفي عن الكذب، يا لويزا!»

«صدقني أنا لا أكذب!»

عاد ينهرها بعنف بينما اخذ قلبها يخفق بسرعة. لقد كانت تشعر رغم ما يظهر عليهما من الغضب، أن شعوراً ودياً يسري في داخلهما.

وفجأة تلاشى النفور ما بينهما، بينما كان ينظر كلٍ منهما بعيني الآخر، ولكنه تركها وهو يحاول السيطرة على نفسه. ورجع بضع خطوات إلى الوراء وهو يقول: «اخرجي حالاً من هذا المكان قبل أن افقد اعصابي نهائياً، اخرجي أيتها الجاسوسة الحقيرة!»

لم تستطع لويزا وفي الحالة التي وصل إليها من الغضب، أن تسأله عمّا كان يقصده من ذلك الاتهام المفاجيء.

واحست باضطراب شديد في داخلها ورعب في قلبها، لكن ذلك لم يكن له علاقة بغضبه الشديد منها، فقد ادركت بأن شعوراً غريباً لم تألفه قبلاً قد بدأ يتحرك لا في ذاتها فقط، بل في ذاته أيضاً.

الفصل الرابع

جلست لويزا على السرير في حجرتها في اليخت تستعيد وتحسب كل ما حدث بينها وبين روث، بينما كان يشتعل في داخلها غضب شديد من جراء النقمة عليه.

نظرت إلى شكلها في المرآة المعلقة على الحائط تفكر أن كل الحق عليها، فهي التي سعت إلى هذه المشاكل، فلو كانت المشكلة مع أي رجل آخر، لكانت استطاعت ان تتخلص وتنجح في حل ضعيف لذلك. ولكنه انسان سيىء الطبع، تافه، وفوق كل ذلك متغطرس ومتعالٍ، وهذا مما زاد المشكلة تعقيداً.

اسندت ظهرها إلى وسادة السرير وفكرت بصديقها السابق انطوني العزيز على قلبها، وابتسمت لذكراه كأنما كانت تقارن بين وداعته وهدوئه وبين روث المتعجرف واللئيم.

لقد دامت صداقتهما لمدة سنة كاملة، لكن تلك الصداقة لم تؤد إلى نهاية سعيدة، فقد كان بينهما اختلاف في وجهات النظر، مما اضطرهما إلى الانفصال، فتعرف انطوني بعد ذلك على انجيلا وتزوج منها.

ابتسمت عندما مرت في خاطرها كلمة قالها لها بعد انفصالهما: «ادين لك بمعرفتي لانجيلا، فلو لم تقنعيني لالتحق بالعمل في دونكاستر، لما كنت التقيت بها.»

وتذكرت لويزا ما قالته له عندئذ: «أرأيت، لقد قلت لك انني

أتنبأ بأشياء تنفعك إذا التحقت بذلك العمل، واتمنى لك عند ذلك السعادة والهناء.»

ثم تحولت بتفكيرها إلى روث المان وإلى جاذبيته وأنه قد ايقظ في نفسها شعوراً غريباً لم تعرفه من قبل.

تعالى طرق مفاجيء على باب حجرتها في تلك الاثناء لينتشلها من افكارها، فنهضت بسرعة عن سريرها وهي تفكر وتراجع نفسها، الامران الوحيدان اللذان يستطيع روث المان أن يوقظهما فيها هما: الغضب والكره له. ثم توجهت إلى باب الحجرة لتفتحه، وإذ بالمضيف يحمل إليها بنطالها وقميصها القطني المغسولين حديثاً.

ابتسمت لويزا في وجه الشاب قائلة: «شكراً لك.» لكنها سرعان ما قطبت جبينها عندما ناولها ملابس أخرى داخل كيس بلاستيكي.

«يعتقد السيد المان بأنك ستكونين بحاجة لتبديل ملابسك. وهذا أكثر ما يستطيع أن يقوم به تجاهك، ربما هذه الملابس قد تناسب مقاسك.»

ابتسمت لويزا بامتنان ونظرت إلى داخل الكيس لتجد سروالاً أبيض طويلاً وقميصين قطنيين ثم قالت: «شكراً، لقد أتعبتكم معي.»

وبينما كان المضيف يهم بالابتعاد، توقف فجأة ليقول لها: «آه، تذكرت... يسألك السيد المان إن كنت ترغبين مشاركته طعام العشاء في غرفة الطعام، في تمام الساعة الثامنة والنصف؟»

هزّت لويزا برأسها بأدب قائلة: «ارجوك أن تبلغه بأنني افضل أن اتناول العشاء في حجرتي.»

شعرت بالغضب الشديد بينما كانت تقفل باب الحجرة، وتساءلت من قال له انها في غاية الشوق لتناول العشاء معه بعد ذلك التصرف الذي أبداه معها؟

بعيد الساعة الثامنة، وبينما كانت تقرأ في كتاب وجدته على الرفّ قرب الخزانة، وصل عشاؤها على صينية من فضة. كان العشاء مؤلفاً من ثمار البحر والدجاج وسلطة الخضار الطازجة والمثلجات.

خرجت من حجرتها بعد ما انتهت من تناول الطعام واتكأت على درابزين اليخت تستمتع بهواء البحر المنعش، جاء المضيف في ذلك الوقت ليأخذ الصينية ويرجعها.

حيّت لويزا المضيف بابتسامة لطيفة، وراقبته وهو يحمل الصينية ويسرع بها متوارياً عنها، ولمحت فجأة شبح رجل على سطح السفينة يقف في الظلام يراقبها.

لم يكن ذلك الرجل طويل القامة، إذاً، فهو ليس روث، وعندما حاولت التأكد اكثر، اختفى من مكانه، وتساءلت لويزا من يكون ذلك الرجل وما الذي يريده؟

دخلت بعد ذلك إلى حجرتها وقد قرّرت أن لا تشغل بالها بهذا الأمر وأن تتابع قراءة الكتاب الذي بدأته. لكنها شعرت بعد ساعة أو أقل أنها في حاجة للهواء المنعش، فخرجت من حجرتها التماساً لذلك ونظرت لا شعورياً إلى سطح السفينة.

ولمحت أيضاً شبح ذلك الرجل يختفي في الظلام، وتابعت نظرها إلى فوق لعله يعود وتتبينه اكثر. ثم تذكرت فجأة، اتهام روث الغاضب والحاقد، بأنها جاسوسة حقيرة. اعتقدت وقتئذ بأنه لا يعي ما يقوله لها وانه ما من سبب

يدفعه ليقول لها ذلك، أما الآن فهي تتساءل هل كان جاداً في ما قاله، وهل يصدق فعلاً بأنها جاسوسة؟ أو هل عيّن احداً ليتجسس عليها؟

ارتعشت فرائصها عندما وصلت بتفكيرها إلى هذا الحد، فهذا الرجل لا يكفي انه يهينها بل يظلمها أيضاً!

قرّرت ان لا تسكت على ذلك، ونظرت إلى ساعة يدها، لتجد انها ما زالت التاسعة والنصف وربما انه لا يزال يتناول طعامه الآن.

عادت تدخل إلى حجرتها لتستبدل ثيابها وترتدي السروال الأبيض الطويل وفوقه قميصاً قطنياً.

خرجت ومشت في الممر الضيق الذي يؤدي إلى غرفة الطعام وفي عينيها نظرات غضب وكأنها ذاهبة لتتعارك مع أحد ما. لم يكن روث في غرفة الطعام في ذلك الوقت، بل كان في غرفة لعبة البلياردو. وقد ارشدها مضيف إليه عندما دخلت عليه، ووجدته يمارس لعبة البلياردو.

قال روث لها عندما دخلت عليه: «لقد تأخرت عن تناول الطعام، ولكن لا بأس، تعالي وشاركيني شراباً منعشاً.»

كان يرتدي سروالاً أسود وسترة سوداء أنيقة وثمينة. وفكرت لويزا انها لم ترَ في حياتها رجلاً جذاباً أكثر منه، وعاد ذلك الشعور الغريب يسيطر عليها لدى رؤيته، ولكن للأسف كانت مع ذلك تجده حقيراً ورديئاً.

فقالت له: «لم آت إلى هنا لأجل شراب منعش.»

أجابها وهو يقذف الطابة بعصا البلياردو ويسقطها في فتحة الطاولة: «لقد فكرت بذلك. فأنا لا اعتقد أن امرأة مثلك تفكر بطريقة حضارية.»

اجابته ساخرة: «كيف يسعك ان تتكلم عن الحضارة، بعد تصرفك معي بعد ظهر هذا اليوم؟»

توقف روث عن اللعب ونظر إليها قائلاً: «وهل تصرفت أنت بطريقة حضارية أكثر عندما هاجمتني من وراء باب الحمام، بينما أنا في داخله لا حول ولا قوة لي؟»

توردت وجنتا لويزا وهي تقول: «أنا لم اهاجمك. وعلى أية حال، فأنا لا أستطيع ان اصفك بالرجل الذي لا حول ولا قوة له!»

اتسعت ابتسامته حين قال: «أتعلمين، انك تزدادين جمالاً عندما تثورين غاضبة.»

ارتعشت لويزا من كلامه، فتابع بعد ذلك يقول منذراً: «لقد تناولت عشاءً شهياً وها أنا الآن أتناول شراباً منعشاً وأمارس لعبة البلياردو... لذا أرجو منك ان لا تعكري مزاجي، وتعودي إلى حديثك بعد ظهر هذا اليوم.»

وافقت لويزا قائلة: «حسناً، لن أقول أية كلمة بخصوص شقيقتي.»

فتابع روث يمارس لعبته المفضلة بمزاج هادىء، بينما هي فكرت بينها وبين نفسها: لما لا أشاركه شراباً منعشاً، فأنا لست في عجلة من أمري.

نظرت إلى قامته المديدة وهو يمارس لعبته، ورأت ان لديها خياران لا ثالث لهما، الخيار الأول انه إما ان تنسى ما جاءت لأجله وتمضي معه ساعة هادئة، أو ان تتمسك بهدفها وتثير غضبه من جديد. لكن، وقع اختيارها أخيراً على الخيار الأول.

وأخذت نفساً عميقاً ثم قالت: «هل كلفت احداً من معاونيك ليتجسس علي؟»

قذف روث الطابة بالعصا وسقطت بمهارة في فجوة الطاولة ثم التفت اليها قائلاً: «نعم، لقد فعلت ذلك.»

دهشت لويزا لصراحته وقالت: «ولكن لماذا؟»

ابتسم وتابع ببرود وهي التي اعتقدت انها ستثير غضبه: «وما وظيفة الجاسوس؟ في الحقيقة، لقد عيّنت ثلاثة من معاوني يتناوبون في التجسس عليك لثماني ساعات في كل نوبة، لكي تبقي تحت المراقبة طوال الوقت.»

قطّبت لويزا حاجبيها وبدت حائرة في أمرها لتصرفه وقالت: «ولكن لماذا؟ وهل تعتقد حقاً انني جاسوسة، يا له من امر مثير للضحك!»

أجاب معلقاً على قولها: «تقولين مثير للضحك؟ ربما تريدين ان اصدق ذلك، ولكنني أقول لك انني لا أصدقك أبداً.»

أخذ ينظر إلى السروال والقميص القطني اللذين ارتدتهما ثم ابتسم قائلاً: «أليس هذا شيء مضحك، ان تبدو هذه الملابس جميلة عليك؟»

تساءلت لويزا، هل يحاول ان يغيّر دفة الحديث؟ وصرّت على اسنانها قائلة: «لم افكر بهذا الأمر قبل الآن.»

تمنت لو انه يتوقف عن الابتسام، فقد كان في ابتسامته شيء يمنعها ان تتكلم معه بجفاء. لكنه تابع يبتسم ابتسامات جعلتها تضعف وتتخاذل أمامه، ثم قال وقد ابتدأ يتكلم عن نفسه: «هناك جوانب مهمة في شخصيتي يجب ان تعرفيها.»

شعرت فجأة بالدم يتدفق حاراً من وجهها وقالت: «حقاً؟ شيء جميل فعلاً ومع ذلك، فلا رغبة لي في معرفتها.»

«لماذا؟ انه أمر مؤسف فعلاً. يسعدني جداً ان اكشف لكِ عن جوانبي السرية المتعددة.»

تباً له ولتلك الغطرسة التي يتباهى بها! فكرت لويزا وهي تضغط بأصابعها على الكوب الذي في يدها بينما انحنى روث فوق الطاولة ليقذف الطابة الأخيرة. وشعرت بأن الحديث بينهما بدأ يأخذ طابعاً حميماً أو ان صح التعبير طابعاً شخصياً.

وعادت تسأله ما جاءت في البداية لأجله: «إذاً، لماذا تعتقد انني جاسوسة؟ وما هو الشيء الذي بامكاني ان اكتشفه؟»

لم يكلف روث نفسه عناء الاجابة عن سؤالها، بل وضع عصا البليارد جانباً وعاد يجمع الطابات ليصفها بشكل مثلث على الطاولة ثم نظر إليها ببرود قائلاً: «هل تحبين هذه اللعبة؟ خذي عصا من الخزانة التي وراءك.»

نظرت إليه لويزا بضجر وقالت: «لا اعرف ولم أمارس هذه اللعبة من قبل.»

«هذا لا يهم، ويسعدني ان اعلمك كيف تلعبينها.»

«لا، افضل ان أراقبك فقط، ان كان هذا لا يزعجك.»

«طبعاً يزعجني، ولن تكون اللعبة مشوقة بلاعب واحد.» وتوجه إلى الخزانة، وبالرغم من معارضتها تناول عصا وقدمها إليها قائلاً: «جربي هذه.»

«في الحقيقة، لا أرغب في ان...»

أشار لها لتتوجه إلى الطاولة بعد ان اخذتها منه لويزا وهو يقول: «اعتقد انها تناسبك، على العموم، جربيها أولاً.»

نظرت لويزا إلى العصا وقالت: «هذا امر سخيف جداً، فأنا لا أعرف حتى كيف اقذف الطابة بها.»

التقط عصاه قائلاً: «لا تقلّلي من شأنك ولا تقلّلي حتى من شأن معلمك، سأبدأ أنا باللعب.»

نظرت إليه وهو ينحني فوق الطاولة ويضرب بعصاه لتتفرق الطابات كل إلى جهة ثم قال: «جاء دورك الآن.» ثم اشار إلى احدى الطابات قائلاً: «اضربي بالعصا تلك الطابة.»

انحنت لويزا فوق الطاولة وركزت نظرها على الطابة المذكورة لتسدّدها وبضربة واحدة إلى داخل الفجوة التي في زاوية الطاولة، لكنها وبقلة ادراكها، قذفت بالطابة إلى ناحية بعيدة عن الفجوة.

انزعجت من ذلك وقالت: «لقد قلت لك لا أعرف ولا فائدة مني.»

أعاد تلك الطابة إلى مكانها الأساسي وتقدم نحوها قائلاً: «ذلك لأنك تمسكين بالعصا بطريقة غير صحيحة... اسمعي، امسكيها بهذا الشكل وليكن ذراعك مستقيماً وثابتاً.»

وعندما فعلت ما طلبه منها قال: «هكذا افضل، هيا اضربي الطابة من جديد.»

قذفت بالطابة بطريقة عمياء فقط لتطيعه، ولدهشتها تدحرجت فوق الطاولة وسقطت في الفجوة.

ابتسم روث لها قائلاً: «أرأيت، لقد قلت لك ان بامكانك ان تفعلي ذلك، وكل ما يلزمك، هو معلم ماهر... تهاني الحارة لك!»

لكنها كانت ترى في هذه اللعبة سخافة ما بعدها سخافة، وابتسمت له ثم هتفت بغباء: «حالفني الحظ هذه المرة، ولن يحالفني في المرة الثانية.»

«اتريدين ان تراهني على ذلك؟ أو هل نسيت بأنّ أمامك ابرع معلم متخصص في هذه اللعبة؟»

«صحيح؟»

«بالطبع.»

«يا لتواضعك المؤثر.»

«نعم، وهذا من أهم وأحب الصفات عندي.»

«اتعني أن هناك صفات أخرى؟»

«العديد منها، لقد سبق وقلت لك ان هناك جوانب أخرى في شخصيتي ويجب ان تعرفيها.»

أشار إلى طابة خضراء وقال: «جربي هذه، فقد لا تستطيعين ادخالها في الفجوة بضربة واحدة، لكن حاولي ان تدنيها منها. واعتقد انه يجب ان تقفي إلى الجانب الآخر من الطاولة.»

«حسناً.» قالت لويزا ذلك وقد شعرت فجأة بحماس لهذه اللعبة، فدارت حول الطاولة كما أشار لها روث وقالت مازحة عندما سدّدت بالعصا إلى الطابة: «استعد الآن لأعجوبة أخرى!»

ان الطابة لم تقع في الفجوة ولكنها توقفت قريبة منها وكما أشار روث، فقالت مزهوة بنفسها: «لا بأس بها، أليس كذلك. واعتقد انني بدأت افهمها أكثر.»

تناوبا اللعبة وحققت لويزا عدة أهداف في الفجوة، بينما كان روث يهوّن الأمر عليها بملاحظاته المتكرّرة، وفكرت

لو انه دائماً لطيفاً معها كما هو في هذه الساعة فكم كانت الأمور اسهل عليها.

جاء دور روث وكان ينحني فوق الطاولة يسدّد هدفه وعندما ارجع العصا إلى الوراء في محاولة لقذف الطابة، اسرعت لويزا لتسحب كوب العصير عن حافة الطاولة.

التفت روث إليها بحدة قائلاً: «أتلعبين دور الأم مجدّداً؟ ارجو ان تعيدي الكوب إلى مكانه.»

تورّد خدا لويزا خجلاً وقالت: «لكنك كدت تسقطه بمرفقك!» وتذكرت انه قال لها قبلاً انه يكره المرأة التي تلملم عنه الأشياء أو تبرمج له حياته، لكنها لم تقصد ذلك أبداً وقد تصرفت دون تفكير منها.

«اعيدي الكوب إلى مكانه. كنت اعرف تماماً مكانه ولم أكن لأوقعه.»

أعادت لويزا الكوب إلى مكانه مذعنة إلى الأمر الذي صدر منه وهي تفكر، من المؤكد ما كان اوقعه، لأنه على قدرة كافية في تحديد موقعه بينما يسدّد العصا لهدفه.

نظر إليها بطرف عينه قائلاً: «انك لا تستطيعين مقاومة التدخل في شؤون الغير، أليس كذلك؟ وربما لهذا السبب لا صديق لك، فهذه الأعمال تدفع بالرجل إلى الجنون.»

شعرت بملاحظته تجرحها، ولكنها اسرعت تقول: «على العكس، فمعظم الرجال يفضلون الاهتمام بهم والانتباه لشؤونهم.»

بقي روث واقفاً مكانه يتابع النظر إليها ثم قال: «يبدو لي انك كنت تضيعين وقتك في البحث عن اصدقاء يبحثون على أمهات لهم.» ثم ابتسم ابتسامة ساخرة، وتابع يقول: «لا

اعتقد ان النساء والرجال يجب ان يكونوا على هذه الصورة.»

«أرى انك خبير في هذا المجال.» ونظرت إليه نظرات غاضبة فيها مزيج من الانزعاج والاستياء وشيئاً آخراً أيضاً لانجذابها نحوه.

أجابها روث وهو ينظر في عينيها: «خبير جداً.»

لمعت عيناه عندما قال ذلك ثم تابع يقول: «ربما ينبغي عليّ ان اعطيك بعض الأمثلة على ذلك، فقد تحتاجينها في المستقبل.» فرجع خدا لويزا يتوردان خجلاً من كلامه المباشر والصريح.

تذكرت صديقها انطوني الذي كان يبحث عن صديقة تعامله معاملة الأم، وتعتني به وتقدم له النصائح، ولم تنجح هي معه بذلك، فابتعد عنها بعد ذلك ليتعرف بأنجيلا التي حققت له طلباته أكثر منها.

قالت لويزا بعد ذلك: «لا اعتقد أن هناك شيئاً يوجب الرعاية والاهتمام بالصديق.»

«لا، أبداً. انما إذا جاء ذلك بصورة صادقة غير مزيفة. اما ان يلتقط الانسان الأشياء بسرعة من بعد أخيه الانسان، فهذا يعني وكأنه مجبر على ذلك.»

نظرت لويزا إليه بحدة وقالت: «انني لست مجبرة على شيء، لكنني افعل ذلك بدافع الذوق والاهتمام.»

كانت محقة في ذلك، فتصرفها جاء كردة فعل طبيعية وليس الزامياً. فعندما ولدت كان والداها المتوفيان حالياً، في نهاية الاربعينات من عمرهما، وعندما بلغت سن الرشد، أخذت تعتني بشيخوختهما تماماً كما كانا يرعيانها في

طفولتها، كانت توليهما اهتماماً وعطفاً كبيرين، ولم تتوانَ يوماً عن تحقيق رغباتهما.

ادركت لويزا ما قالته أخيراً عندما ابتسم روث ابتسامة ذات معنى وهو يقول: «يسعدني ان اعرف بأنك تهتمين.»

ارتبكت لويزا قائلة: «لم اكن اقصد ذلك!»

ابتسم لارتباكها ثم وبينما كان يهم بالعودة إلى طاولة البليارد قال لها فجأة: «هل اسم غولد انغوت يعني لك شيئاً؟»

أجابت لويزا: «نعم، انه مكان عملي الصحافي.»

«إذاً، انت لا تنكرين ذلك؟»

«ولماذا انكره؟»

هزّ بكتفيه غير مبال ثم قال: «لأنك تميلين أحياناً إلى تكذيب الأمور وانكارها.» ثم توجّه إلى طاولة البليارد وهو يقول: «اعتقد جاء دوري الآن.»

قذف الطابة لتتدحرج وتسقط رأساً في الفجوة، ثم نظر إليها قائلاً: «لا اعتقد انك في حاجة لتوضيح أكثر الآن، ولماذا اضعك تحت المراقبة؟»

بدت لويزا حائرة وقالت مستوضحة: «وهل مركز عملي يفرض عليك ان تضع جواسيساً عليّ؟»

أجابها روث وقد نفد صبره: «لقد التقيت بالناشرين في مكتبكم في نيويورك منذ بضعة أيام وقبل ان تسافري إلى ناسو، أليس هذا صحيحاً؟»

«نعم، وماذا في ذلك؟»

«ماذا في ذلك؟ لقد عرفت ماذا دار في الاجتماع.»

أجابته بصدق: «لقد كان حول كتاب جديد للنشر.» ولم

تصدق ما يدور ويجري بينهما من سوء تفاهم، وقد كانت تريد ان تنشر كتابها الأول وحلم حياتها.

وضع روث عصا البليارد على الطاولة ونظر إليها بعينين تلمعان مكراً ثم قال: «وماذا يضم هذا الكتاب؟»

«انه يضمّ بعضاً من أهم المقابلات التي اجريتها منذ سنوات ومع أهم الشخصيات.»

«نعم، اعرف ذلك، فقد تحريت عنك.» وعندما بدا الذهول التام على وجه لويزا، تابع يقول: «وقد علمت أيضاً ان الكتاب الذي تنوين نشره لا يتضمن ما ذكرته لي.»

نظر إليها مطولاً قبل ان يتابع قائلاً: «وانك تكذبين ببراعة هائلة.»

«لماذا اكذب عليك؟»

«لأن الكذب أحياناً اسهل بكثير من الاعتراف بالحقيقة. وقد يمنحك أملاً في ان اصدقك.»

وضعت لويزا عصاها هي الأخرى وقد شعرت ان اللعبة قد انتهت وقالت بنبرة عالية وصادقة: «انني لا أكذب، وما قلته لك هو الحقيقة بعينها، فلماذا تصر على ذلك؟»

«أصرّ، لأنني اعرف بأنك تكذبين.»

«لكنني لا أكذب وقلت لك عن حقيقة كتابي. فما الذي تعتقده انه يتضمن غير ذلك؟»

تنفس روث بعمق ثم دار حول الطاولة ووصل إليها وهو يقول: «سأقول لك حالاً.»

أحست لويزا بأعصابها تتصلب وبخوف شديد من اللحظات التالية وقد بدا وكأنه سيفترسها.

فقالت له بهدوء بارد: «إذاً، هيا اخبرني.»

وقف إلى جانبها وعيناه تشتعلان غضباً ثم نظر إليها بصمت قبل ان يقول: «ان الكتاب يحكي عني!»

تفاجأت لويزا وقالت: «عنك؟ أتقول عنك؟»

«نعم، عني! فأنا الذي سيكون موضوع كتابك.»

«لكنك حتماً مجنون!»

«لا، فأنت هي المجنونة... إذا كنت تظنين بأنني سأدعك تقومين بنشره!»

«لكنه لا رغبة لي في ان انشر كتاباً عنك، ولماذا أقوم بذلك؟»

«من أجل المال الذي ستقبضينه عليه. وهذا ما يدفع العديد من أبناء مهنتك للقيام به، وكلما كان الموضوع مهماً، كلما عاد بالمال أكثر. ولهذا السبب جئت إلى هنا... متسللة تفتشين في الزوايا على نفايات لتضيفيها إلى كتابك!»

فغرت لويزا فاها بدهشة، لأنه من غير الممكن ان يكون جاداً في كلامه. ثم قالت وقد بدأ الغضب يعصف بها: «انني لست كاتبة من هذا النوع، ولا احشر في كتابي الاقذار، وما اكتبه عن الناس عادل وصادق. فإذا كنت ارغب بالكتابة عنك، فانني اتقدم إليك مباشرة واجري معك عدة مقابلات، فهذا هو نظام عملي عادة.»

«هل تريدينني ان اصدق كلامك هذا؟ فأنا لست غبياً، وتذكري انني ضبطك في احدى حجرات هذا اليخت.»

«لقد كنت ابحث عن ريتا! واعتقد اننا تكلمنا في هذا الشأن من قبل.»

«نعم، ولم اصدقها قبلاً، ولن اصدقك الآن.» توقف ليأخذ

نفساً عميقاً قبل ان يتابع: «لكنني اقرّ بأنني كدت ان اصدقك بالرغم من المعلومات التي وصلتني... ومنحتك فرصة مغادرة هذا اليخت، فلو كنت صادقة في روايتك لكنت غادرته، ولكن بما انك قرّرت البقاء، تأكد لي كذبك وخداعك من اجل ان تتجسسي علي وتحصلي على معلومات اضافية لكتابك.»

توقف ليلتقط انفاسه ثم ابتسم ابتسامة خبيثة وتابع يقول: «وتأكد لي انك كاذبة عندما بقيت فعلاً.»

«لقد بقيت فقط، لأنني اعتقدت انه يمكنك ان ترشدني إلى طريق ريتا، وقد تأكد لي انني لن استطيع العثور عليها بمفردي.»

«ها قد عدت إلى الكذب من جديد.» وسحب بغضب احدى طابات البليارد ورشقها بعنف على الطاولة فضربت الطابات الأخرى محدثة دوياً كالانفجار.

ثم عاد يدور حول الطاولة نحو لويزا قائلاً: «انك سيئة مثل شقيقتك! يا لكما من شقيقتين!»

كانت لويزا في تلك الاثناء مصعوقة تماماً والصمت العميق يلفها، ثم قالت بعد ذلك: «لقد هجرتها، أليس كذلك؟»

لكنه لم يجبها، فلا حاجة له لذلك، وتأكد للويزا بأنه فعلاً هجرها.

فقال مقابل ذلك متجاهلاً كلامها: «قد يقع اللوم علي لأنني اخبرتها بأن عدداً كبيراً من الناشرين يسعون وراء كتابة قصتي بما فيهم شركتك غولد انغوت...»

ثم تابع وهو يصرّ على اسنانه: «لكنني لم اعتقد يوماً بانها قد تفكر هي الأخرى بنشر قصتي...»

أخذت لويزا تنصت إليه بصمت بينما تابع يقول: «في البداية لم اصدق تهديداتها لي بنشر قصتي وانها ما زالت تبحث عن ناشر جدير بهذه المهمة.»

لم تستطع لويزا الصمت أكثر، وسألته: «هل انت فعلاً تتكلم عن شقيقتي؟»

لمعت عيناه ببريق مخيف وقال: «يا له من ادعاء كاذب ممزوج بالبراءة... لذا، فهمت تماماً سبب وجودك هنا... فأنت الكاتب الذي هدّدتني به ريتا... وجئت كي تجمعي اسخف المعلومات عني، ذلك لأن ما تعرفينه عني، انني نزعت ريتا عن زوجها وولديها، ليس كافياً لك وتريدين ان تجعلي من كتابك شيئاً يلتهمه القراء.»

شعرت لويزا عند ذلك بقشعريرة باردة تسري في عروقها وهي تعي ماذا يقوله لها وفهمت الآن السبب لمراقبتها والتجسس عليها.

فحاولت الاعتراض قائلة: «لكن، لا يمكنك ان تعتقد...»

قاطعها روث: «انك وشقيقتك تسعيان معاً لتحقيق اهدافكما، فهي تريد ان تثأر لنفسها مني، وانت تريدين ان تحققي نجاحاً من وراء نشر كتابك عني.»

«لكن هذا ليس بصحيح، فأنا...»

عاد يقطع عليها الكلام ليقول: «لكن وبالرغم من محاولاتكما الدنيئة، فانكما لن تنجحا بذلك، فلن ينشر الكتاب واصرّ على ذلك... لذا، لن يكون لك قصة تنشرينها، عدا تلك القصة التي ضبطك فيها متسللة إلى يختي مثل اللصوص... وفي هذه الأثناء، وإلى ان اقرر ما افعله بك، ستبقين سجينة هذا اليخت.»

ثم مشى بسرعة نحو الباب قائلاً بغضب: «سأجعلك تندمين على اليوم الذي قرّرت فيه التدخل في شؤوني الخاصة.»

www.elromancia.com

الفصل الخامس

«ان لم يكن لديك مانع، أودّ الاتصال ببريطانيا.»

«لطلب النجدة؟ لو كنت مكانك، لا اقدم على ذلك.»

حدث ذلك في صباح اليوم التالي، بعد ما تناولت لويزا طعام الفطور في حجرتها الخاصة وصعدت إلى سطح السفينة لتكلم روث. فوجدته جالساً بهدوء يتناول فطوره وهو ما زال مرتدياً ملابس الرياضة بعد ان مارس رياضة الجري.

دعاها قائلاً: «تعالي وشاركيني طعام الفطور.» وجاءت نبرة صوته لطيفة عذبة، بعكس ما كانت عليه الليلة الفائتة وكأن شيئاً لم يحصل بينهما.

وقالت في نفسها: ان للثعلب وجهان، ثم قالت بصوت عال: «لقد تناولت فطوري، شكراً لك.»

أشار إلى كرسي قائلاً: «إذاً، شاركيني قهوة الصباح... هذا إذا كنت لا تمانعين في الجلوس مع شخص قام بخمسين دورة، جرياً. من عادتي ان استحم مباشرة بعد ذلك، لكنني شعرت هذا الصباح بجوع شديد، فأجّلت حمامي إلى ما بعد تناول فطوري.»

كان يبدو مرتاحاً وليس كانسان ركض خمسين دورة أو قام بأية رياضة أخرى. فهذه الدورات الخمسون بالنسبة لروث المان شيء لا يذكر كما يبدو.

رفضت دعوته لأنها لم ترغب في اعادة مشاجرة الليلة

الفائتة. مع انه ظلّ يبتسم لها باستمرار، ولكنها تعلمت وتأكدت بأن تلك الابتسامات اللطيفة تنقلب عاجلاً أم آجلاً إلى غضب مخيف.

فقالت له: «لقد سبق وشربت الكثير من القهوة، وجئت لأطلب منك ان اجري اتصالاً هاتفياً.»

«هل قلت إلى بريطانيا؟»

«نعم، وإلى منزل شقيقتي بالذات، لأنني أريد ان أعرف إن كانت هناك أنباء تفرح القلب، وهل عادت إلى زوجها وولديها.»

«ان هذه ستكون أنباء سارة فعلاً، مع انني أشك بعودتها إلى بيتها.»

كانت لويزا تشك بعودتها أيضاً. فهي لا تتصوّر ان شقيقتها عادت بتلك السرعة إلى زوجها واولادها، ومن المحتمل انها الآن في مكان ما في ناسو تداوي جروح قلبها المحطم. لكن على لويزا ان تتأكد من ذلك وقبل ان تقوم بخطوتها التالية.

ظهر الاهتمام على وجهها ثم قالت: «هل تأذن لي إذاً، ان اتصل ببريطانيا؟»

«بكل طيبة خاطر.» ورشف قليلاً من القهوة قبل ان يتابع قائلاً: «سأطلب من أحد طاقم السفينة ان ينقل لك الهاتف إلى حجرتك، ام تفضلين ان تجري اتصالك من حجرتي الخاصة؟»

تصوّرت لويزا غرفته بضوء خفيف، وبستائر حريرية ذات خيوط ذهبية، وبسجاد فاخر ناعم الملمس. فأجابته بعد لحظة تفكير: «لا، شكراً لك. أفضل الاتصال من حجرتي.»

نظر في وجهها مطولاً ثم كرّر عرضه عليها: «ان حجرتي الخاصة تريحك أكثر من حجرتك.»

ضاقت عينا لويزا وهي تقول له: «لا أشك مطلقاً بذلك، ولكن، وكما قلت لك أفضل ان اجري الاتصال من حجرتي. وأتوقع ان يكون اتصالي لوقت قصير.»

نظر روث في ساعة يده ثم قال: «نعم، لكن هل تعلمين ان الوقت في بريطانيا لم يتجاوز الخامسة صباحاً الآن؟»

«نعم اعرف ذلك. وسأنتظر حوالي الساعة، فالآن يستيقظ عادة في الساعة السادسة صباح كل يوم.»

«إذاً، سأطلب ان ينقل الهاتف إلى حجرتك بعد ساعة من الآن.» قال ذلك ثم عاد يتناول فطوره.

تابعت لويزا تقول: «لكن هناك أمراً آخر، فأنا أريد الاتصال بالفندق الذي كنت انزل فيه في ناسو، حاجياتي ما زالت هناك، كما انني ما زلت ادفع أجرة الغرفة، وأخشى ان أقول لك ان هذا اسراف لا أستطيع ان أتحمل تكاليفه. لذا أريد ان أبلغهم بان يلغوا استئجار تلك الغرفة ويضعوا اغراضي بالأمانة، إلى ان أتمكن من العودة إليها.»

أجابها بلا مبالاة: «ومن يدري متى ستعودين؟ اعتقد اننا سنبقى هنا لفترة طويلة.»

أحست بانقباض في معدتها وقالت: «تعني على متن هذا اليخت؟ أرجو ان لا تكون جاداً في قولك هذا. انني اعتبر هذا العمل غير قانوني.»

تجاهل روث ما تلميحها بالاستعانة بالقانون، ورفع احد

حاجبيه تهكماً ونظر إليها بلا مبالاة ليثير غضبها وقال: «ما قصدته، اننا الآن في مكان ما من البحر الكاريبي وبعيداً جداً عن ناسو.»

ثم أضاف عندما قطّبت جبينها ونال مراده: «لكن، قد يفرحك ان تعرفي، بأننا سنغادر اليخت لبعض الوقت.»

ودون أي سبب، شعرت لويزا بالتفاؤل وقالت: «أين؟» وفكرت انها على اليابسة ستكون في مأمن من شره أكثر، لأنها ومع ضخامة هذا اليخت وكبره، كانت تشعر وكأنها في مكان ضيق مقفل النوافذ والأبواب.

وعندما لم يجب، عادت تكرّر سؤالها عليه: «أين؟ إلى أين نحن ذاهبان؟»

«إلى جزيرة العصافير. انها جزيرة صغيرة ورائعة، وسنتناول طعام الغداء فيها.»

شعرت لويزا بفرح يغمر قلبها لهذا التطور الجديد وقالت وهي تهم بالابتعاد عنه: «سأنتظر المضيف ليجلب لي الهاتف إلى حجرتي بعد ساعة من الآن.»

أخذ روث يراقبها وهي تبتعد عنه، ثم وكمن تذكر شيئاً قال لها قبل ان تختفي كلياً عن نظره: «لا تنفعلي للأمر كثيراً، فجواسيسي سيكونون معنا وسيراقبون خطواتك، خطوة خطوة.»

جلست لويزا في حجرتها تنتظر قدوم الهاتف إليها وتفكر بالذي قاله لها روث أخيراً.

كان في رأسها أمران يشغلان بالها ولا تستطيع ان تقرّر اختيار أي واحد منهما. هل كانت فعلاً تريد ان تهرب منه إلى ناسو؟ أو هل من الأفضل لها ان تلازمه في ذهابه وايابه

لربما تستطيع أن تعرف منه مكان ريتا؟ احتارت في أمرها ولم تستطع الاختيار.

لحيرتها سبب واضح، فهي لا تعرف إلا القليل لغاية الآن، حتى أنها لا تعرف مكان ريتا، وهل فعلاً افترقا عن بعضهما أم لا، فهل ما نطق به روث الليلة الفائتة كان حقيقة؟

فإذا كان ما نطق به صحيحاً، فذلك يفسر السبب لمراقبتها في حالته هذه، من المؤكد انه لا يصدق أية كلمة تقولها. وهي بالنسبة إليه ليست سوى جاسوسة حقيرة تريد ان تكتشف صداقته العديدة مع الغير لتخلق منها فضيحة تشوّه بها سمعته.

قطبت حاجبيها عندما تذكرت وصفه لها بالجاسوسة الحقيرة! فلو كان أكثر حكمة وتعقّل من ذلك، لاستطاع ان يرى انها ليست من هذا النوع ولا بشكل من الأشكال. وتذكرت ما قاله لها عن التهديدات التي هدّدته بها ريتا بأنها ستفضحه بها.

وتساءلت هل صحيح ان ريتا تصرفت بهذا الشكل المعيب؟ لقد صعب عليها ان تصدق ذلك، فريتا التي تعرفها، لها قلب طيب وحنون. وليس كما وصفها روث. فهل من المعقول ان لويزا أخطأت بتقدير شقيقتها بعد كل تلك السنين التي عاشتها معها؟

لكن ومع كل صفاتها الطيبة، ذكرت لويزا نفسها، ان شقيقتها خيبت ظنّها بها وهجرت اسرتها لتلحق بروث المان.

انما قد يكون روث كاذب، ولن تنخدع بأكاذيبه. ولا بد انه ابتدع هذه القصة كي يخفي السبب الحقيقي للاحتفاظ بها

أسيرة على متن يخته، وليس من المعقول أبداً ان تكون ريتا على هذا الحجم من الحقد والانتقام.

طرق خفيف على باب حجرتها قطع عليها حبل أفكارها، نهضت وفتحته، فرأت المضيف الشاب يقف بأدب عند الباب وهو يحمل الهاتف بيديه.

ناولها الهاتف قائلاً: «تفضلي، ومع تحيات السيد المان... وان كان لا مانع عندك، سأعود لاسترداده بعد نصف ساعة من الآن.»

أجابته لويزا: «هذا عظيم.»

اتصلت أولاً ببريطانيا، وأجاب آلان بسرعة وهو يقول: «لويزا! ما أخبارك الجديدة؟ وهل عثرت على ريتا؟»

شعرت لويزا بقلبها يغور في داخلها وقالت: «لا، للأسف. وكنت آمل ان تكون قد عادت إليك.»

تنهد آلان وقال: «لا شيء من هذا. بل على العكس، يبدو وكأنها تخطط للبقاء معه. لقد اتصلت بي ليلة البارحة لتطمئن على الولدين وصحتهما وقالت انها تركت ناسو، ولكنها ما زالت في البهاماس، ولقد رفضت أن تعلمني بمكانها.»

انقبض قلب لويزا لسماعها الأنباء غير السارة، ثم حاولت ان تطمئن آلان قائلة: «لا تقلق، سأحاول العثور عليها بشتى الطرق.»

ما أسهل الكلام عند التنفيذ، فكرت بذلك وهي تشعر بانهزام كلي... واقفلت الخط مع آلان لتتصل بالفندق في ناسو.

عاد المضيف بعد نصف ساعة ليستعيد الهاتف فقالت له لويزا: «تفضل.»

وعندما ناولته إياه، شعرت بالدم يتجمد في عروقها وقد رأت ما يحمل في يده الثانية.

شعرت باضطراب شديد وقالت بصعوبة: «أرى انك استلمت البريد.»

طأطأ الشاب برأسه قائلاً: «لقد وصلت لتوها، وانها تخص السيد المان. ويجب ان أوصلها له الآن.»

بينما كان يقول ذلك، رفع رزمة الرسائل، فنظرت لويزا فيها بصورة تلقائية، ثم أحست بقلبها يهوي من مكانه عندما عرفت الخط المكتوب على الظرف والذي كان مألوفاً لديها.

بلعت بريقها وقد أدركت ان الرسالة مرسلة من ريتا! ومالت قليلاً لتقول: «يا له من طابع بريدي بديع.» وحاولت جهدها ان تبدو وكأن الأمر طبيعي جداً، ثم وببراءة شديدة، مدت يدها وأخذت الرسالة وكأنها تريد ان تنظر في الطابع البريدي عن قرب أكثر.

ثم وبيد ترتجف، أدارت الظرف لتقرأ عنوان المرسل، وكادت ان تصرخ صرخة المنتصر عندما قرأت هذا العنوان: فندق الشاطىء، آزورا.

أعادت الرسالة إلى المضيف وهي تبتسم ابتسامة واسعة لمعرفتها بمكان ريتا. واسرعت تبحث في الخريطة المعلّقة على جدار غرفتها عن جزيرة آزورا، ووجدت بأنها على مرمى حجر من جزيرة العصافير التي سيرسو اليخت فيها عند ظهر هذا اليوم.

فكرت انه ليس بمحض الصدفة سيتوجه روث إلى جزيرة العصافير، ولا بدّ ان هناك شيئاً يلوح في الأفق وانهما

سيعقدان صلحاً ما بينهما، إذا كان هناك فعلاً خصاماً وفراقاً بينهما.

ابتسمت بعزم وفكرت في نفسها، انه مهما كان يجري ويدور، يجب ان تدخل فريقاً في ذلك، وان تتحين الفرص لتتكلم مع ريتا وتعيدها إلى رشدها قبل ان تدمّر حياتها بأكملها.

ولا حاجة لروث الآن ليقلق من أمرها، لأنها ستلتصق به ولن تفارقه!

بعد وقت قصير، رسا اليخت في جزيرة العصافير وهي مغمورة بتأملاتها تلك.

كانا يقفان على سطح اليخت ينظران إلى المركب المتوجه نحوهما لينقلهما إلى الجزيرة.

فقال لها: «هل قمت باتصالاتك الهاتفية؟ وهل انهيت أمورك؟»

وكانت الجزيرة أمامهما تتلألأ تحت أشعة الشمس بأشجارها الحانئة الظليلة.

التفتت لويزا لتنظر إلى روث قائلة: «نعم، وشكراً لك، لقد ابلغت الفندق ان يلغوا حجز غرفتي، ووافقوا على ان يحتفظوا بأمتعتي لحين عودتي.»

«وماذا عن اتصالك لآلان في بريطانيا؟»

يا له من دجّال! فهو يعلم ان اتصالها بآلان لم يأت بأية نتيجة تذكر، فكرت لويزا وهي تبتسم ابتسامة ماكرة، فهو لا يعرف فقط مكان وجودها، ولكنه يعرف أيضاً انه سيلتقي بها عمّا قريب!

توقفت عن الابتسام وقالت دون مبالاة: «ان ريتا لم تعد

إلى بريطانيا، وكنت على حق عندما قلت لي انها ما زالت في مكان ما من البهاماس.»

نظر إليها بحدة قائلاً: «نعم انها كذلك، ولكنك لم تثقي بكلامي من قبل.»

كانت لويزا تتذكر الآن، انه اتهمها بأنها وريتا متفقتان على ان تقوما بنشر ذلك الكتاب عنه، وذلك كان بدعة منه بالطبع. وكيف يكون غير ذلك، بينما ريتا الآن في جزيرة آزورا وقد ارسلت له رسالة؟

وعادت تتساءل: ماذا يجري إذاً؟ ولماذا يخدعها؟ وما هي الحقيقة التي يخفيها عنها؟

لكنها من المؤكد ستعرف الأجوبة عن أسئلتها تلك.

وقف في تلك اللحظات المركب قرب اليخت وأشار إليها روث بالنزول منه، وقد قررت بينها وبين نفسها ان لا تدعه يغيب عن نظرها.

وعندما وصل بهما المركب إلى الشاطىء، كانت سيارة فخمة بانتظارهما، ففتح روث لها الباب ودعاها للدخول إليها.

قال لها بعد ذلك: «سنذهب للتسوق أولاً.» ثم جلس إلى جانبها وأعطى تعليماته إلى السائق ليتوجه إلى وسط الجزيرة.

قالت له لويزا وهي تنظر خارج النافذة وكأنما تحاول ان تتعرف عن مكان وجودها. «سنتسوّق؟ أي نوع من التسوّق تقصد؟»

نظر إلى السروال الأبيض والقميص القطني اللذين ما زالت ترتديهما وقال: «لنبتاع بعض الملابس لك، فلا يمكن

ان تبقي بهذه الثياب طوال الوقت، وأودّ ان أراك ترتدين فستاناً.»

نظرت إليه وقالت بحدة: «لا أريدك ان تشتري لي ملابس فأنا ليس لدي مالاً لاشتريها.»

«أنا أيضاً بحاجة إلى ملابس انيقة، والا سنفسد رحلتنا هذه.»

قالت له بتمرد: «لكنني لست بحاجة إليها! وأنا مقتنعة كما أنا.»

«اقرّ بأنك لست سيئة وانت في هذه الحالة، وكما قلت ليلة البارحة، ان هذه تليق بك تماماً.»

ثم أخذ يتأملها من رأسها إلى أخمص قدميها، وكأنه يقيسها. فأحست لويزا برجفة في نفسها، ثم أضاف: «كما انه لا يمكنك الاحتفاظ بهذه الملابس.»

لم تفكر لويزا بهذا قبل الآن، فقالت له: «فهمت، في هذه الحالة، اعتقد انه يجب ان احصل على ملابس أخرى. لكن أرجو ان لا تكون غالية الثمن، وعاجلاً أم آجلاً، سأسدّد لك هذا الدين.»

«لا داعي لذلك.»

«آه، لكنني أصرّ!»

مال نحوها قائلاً: «لنتوقف عن هذا النقاش الآن... لقد وصلنا.»

اوقف السيارة وترجل منها، ثم دار حولها وفتح لها باب السيارة متابعاً كلامه: «هيا لنرى ما يمكننا الحصول عليه.»

توقفت السيارة أمام محل فاخر للطبقة الارستقراطية،

فشعرت بخوف شديد من ذلك، فهي لم تطأ قدماها محلاً بهذه الفخامة طوال حياتها، حتى انها لم تتجرأ وتنظر في واجهته.

توقفت مكانها بينما كان يشير لها روث بالدخول إلى المحل، ثم قالت: «لن أدخل إلى هذا المحل!»

«ولِمَ لا؟ انهم يبيعون ملابس جميلة.»

نظرت لويزا إلى واجهة المحل التي تعرض الملابس الجلدية والحريرية الفاخرة ثم قالت: «نعم، ألاحظ ذلك. لكنني لا ارتاد عادة مثل هذا المحلات! ولا يمكنني ان ادفع ثمن زرّ واحد في أي فستان.»

دفعها روث برفق وهو يقول: «حسناً، نشتري هذه الملابس على أساس انها لي، وتلبسينها لبعض الوقت ثم نرمي بها بعيداً، أتوافقين على ذلك؟»

نظرت إليه لويزا بحدة مفكرة في ان ذلك لا يناسبها أبداً ولن توافق على عرضه. لكن، وفي هذه الأثناء تقدمت منهما البائعة وهي تبتسم لهما.

لكن ذلك كان فوق طاقة لويزا، فعبست في وجه روث قائلة: «حسناً، لكن، لن أبقي عندي على خيط واحد من قماشها.»

ابتسم روث والتفت إلى البائعة قائلاً: «أريدك ان تساعدي هذه السيدة في انتقاء الفساتين والتنانير والاحذية.» ثم حوّل نظره إلى لويزا وتابع يقول: «لأنها ترغب في ان تغيّر من مظهرها الخارجي.»

يا لك من سافل حقير! فكرت لويزا بينما كانت تبتسم بتكلف.

انها لم تكن فقط بصدد تغيير مظهرها الخارجي، بل في حالة انتقال من شيء حقير إلى شيء رفيع وسام.

نظرت البائعة مطولاً إلى لويزا ثم قالت: «أؤكّد لك بأنك ستجدين ما يناسبك عندنا... اتبعيني من فضلك.»

أخذت لويزا تراقب البائعة وروث بصمت كأن على رأسها الطير، وتمتمت بغباء كلما حمل روث فستاناً أو تنورة ليسألها رأيها فيه، انها رائعة... انه جميل جداً. فهي لم تحلم يوماً ان ترتدي مثل هذه النوعية الفاخرة من الأقمشة في حياتها.

لكنها وشيئاً فشيئاً اقتنعت بأن لا خيار لديها غير الرضوخ لطلبه، ولن يسمح لها روث بالخروج دون شراء أية ملابس من المحل. فلِمَ لا تستمتع بذلك وتنتقي لنفسها ما يلائمها فعلاً؟

وقالت بعد ذلك للبائعة: «سأجرب ذلك القميص الأزرق. وتلك التي إلى جانبها وهذه التنانير، وهذا السروال الأحمر...»

«ستكون بحاجة إذاً إلى هذا القميص الأحمر.» ووضعه روث فوق المجموعة التي اختارتها مضيفاً: «واعتقد انه يجب ان تجربي هذا الفستان الأبيض أيضاً.»

فكرت لويزا في ان هذا الرجل مجنون فعلاً. وبينما كانت البائعة تدلها على غرفة القياسات همست لويزا في اذنه قبل ان تتبعها: «عندما نعود إلى ناسو، يمكنك ان تتبرع بها إلى الجمعيات الخيرية، فمن الخسارة جداً ان ترمي هذه الملابس الفاخرة.»

ابتسم روث من كلامها وقال لها مؤيداً: «فكرة لا بأس

بها، اذهبي الآن وجربيها كلها ودعيني أرى كيف تبدين في كل قطعة.»

فكرت لويزا انها حتماً ستبدو ذات قيمة كقيمة المليون دولار بالنسبة لما كانت ترتديه سابقاً.

وخرجت بعد لحظات من الغرفة ونظرت إلى نفسها في المرآة باعجاب ولم تعتب عليه عندما صفّر وصفّق لها اعجاباً، فهذه الثياب تجعل من اية امرأة كانت في غاية من الروعة والجمال.

ثم طلب من البائعة قائلاً: «سنأخذ كل تلك الثياب... دعينا الآن نرى ما عندك من الأحذية.»

دهشت لويزا وقالت: «هل انت فاقد العقل؟ فأنا لست بحاجة إلى كل هذه المجموعة!»

رفض اعتراضها قائلاً: «لا تجادلي، ولا تنسي انها ستعود للجمعيات الخيرية.» ثم ابتعد عنها ليشير قائلاً: «ما رأيك بذلك الحذاء هناك؟»

كانت لويزا لاتزال مصعوقة ومتأثرة جداً من الذي اشترته، حتى بعد خروجهما من المحل. وكان قد أشار روث على البائعة ان ترسل بكل هذه الأغراض إلى اليخت.

نظر إلى لويزا وقال: «اعرف مطعماً جيداً لتناول طعام الغداء فيه، انه يقع آخر المنعطف هناك، فما رأيك؟»

«أوافق إذا كنا قد انتهينا من شراء الملابس، فأنا لا أستطيع ان اصبر أكثر من ذلك.»

ضحك ثم قال: «انك تصرفت بطريقة لا بأس بها، كمبتدئة جديدة على هذه الأمور.»

«لكن، ما كان في ذلك المحل، بدا من الأمور المذهلة والعجيبة.»

«ولكنك مع كل ذلك استمتعت بها، ولم تجديها من الأمور العادية والروتينية.»

فقالت له بنبرة مازحة: «مثل الطفل الذي يستمتع بفرحة العيد؟»

التقت عند ذلك نظرتهما وعادت تشعر بذلك الشعور الغريب في داخلها.

نعم، لقد استمتعت بذلك العمل، لكن ليس حباً بتلك الملابس الفاخرة والباهظة الثمن، بل لوجودها مع روث الذي كان يبدي اعجاباً بكل قطعة جربتها.

فقد كان يبدو عليه الارتياح واللطف والتعاون معها! وجعل من ذلك كله فرحة لا تضاهيها فرحة.

دارا حول المنعطف وبدا أمامهما المطعم الذي أشار إليه روث، فقال لها: «أرجو ان تكوني جائعة؟ بالنسبة لي أنا، انني أشعر بجوع قاتل، كما انني اشعر بالجوع كلما انفقت مالاً.»

ابتسمت لويزا، لكن في داخلها شعرت بحماس كبير تجاهه، وتساءلت لماذا يظهر كل هذا اللطف والعذوبة؟ وما هو قصده؟ والأهم من كل ذلك، ماذا سيحصل لها؟ وما هذا الشعور الغريب الذي ينتابها من وقت لآخر وكأنها تحلق عالياً في دنيا الأحلام الغريبة؟

«تأنقي في ملابسك للعشاء.»

كانت هذه الكلمات الأخيرة التي نطق بها عندما صعدا إلى اليخت ليتوجه كل إلى حجرته، فطأطأت برأسها

موافقة، وكأنها غير قادرة على الاعتراض. ثم تابع يقول: «أترك لكِ ان تختاري الأنسب.»

اختارت لويزا فستاناً أزرق وأخذت تتأمل نفسها في المرآة، وكيف تغير مظهرها الخارجي وكأنها تنظر إلى شخص غريب عنها.

لقد أمضيا ساعتين في تناول الغداء وتناولا ثلاثة أنواع من الأطعمة المتنوعة والشهية، وكانا يثرثران بأمور مختلفة ولم يصدر عن أي منهما كلمة سيئة تجر إلى الجدال، وبعد ذلك، تمشيا في أرجاء الجزيرة، ومن ثم إلى الشاطىء حيث كان المركب ينتظرهما لينقلهما إلى اليخت.

وعندما افترقا كل إلى حجرته، فكرت لويزا في انه لا يمكن ان يكون حقيقة كل الذي يجري.

وعندما دخلت إلى حجرتها تساءلت أيضاً وهي تنظر إلى أكياس الملابس الفاخرة، هل كانت تحلم حلماً ما وستستفيق منه قريباً؟

شعرت بدوار في رأسها بينما كانت تبسط كل قطعة على حدة واضعة إياها على السرير. ماذا ستفعل بكل تلك الملابس؟ وهل سيتسنى لها الوقت بأن ترتديها كلها؟ وهل تحلم أية فتاة بسنها ان ترتدي مثلها؟

صعدت إلى متن اليخت، ووقفت تراقب الأفق وهو يستقبل غروب الشمس ولم تعد إلى حجرتها قبل السابعة والنصف.

تذكرت قوله لها بأن تتأنق في لبسها للعشاء، وكان يعني ان ترتدي احدى تلك الملابس الجديدة، فماذا لو انها عادت ترتدي ذلك السروال الأبيض المستعار؟ فهل ستهدأ نفسياً لذلك وتتمكن من السيطرة على مشاعرها؟

لكنها رفضت هذه الفكرة بسرعة، لأنها وببساطة ستبدو غبية، وبأنها ليست أهلاً لتلك المناسبات الاجتماعية الرفيعة المقام.

لكن، لماذا ترتعش هكذا؟ ولماذا لا تستطيع السيطرة على نفسها؟ فهي لم تطلب منه أن يأخذها ويشتري لها تلك الملابس الفاخرة ويحيطها بكل ذلك الاهتمام، إلا إذا كان هناك من سبب تجهله ولغاية في نفسه.

ارتدت بعد كثير من التردّد، الفستان الأزرق وانتعلت صندلاً من ذات اللون، وتعطّرت بعطر فاخر، ثم توجهت لتتأمل شكلها في المرآة.

نظرت ولم تصدق، وعاودها الشعور بأن من تراها في المرآة، هي مخلوقة غريبة عنها. انما انها ما زالت لويزا، والفارق الوحيد، هو أنها ترتدي ولأول مرة فستاناً بقيمة ألفي دولار!

حملت بعد ذلك حقيبة اليد الزرقاء الجديدة أيضاً ثم نظرت إلى ساعة يدها التي كانت تشير إلى الثامنة والنصف حيث عليها ان تنضم إليه حالاً.

توقفت قليلاً في الممر الضيق الذي يؤدي إلى غرفة الطعام ونظرت إلى السماء تتأمل النجوم التي تهيأ لها بأنها ستسقط عليها، ثم وبخطوات ثابتة، شقت طريقها إلى غرفة الطعام حيث كان روث بانتظارها.

الفصل السادس

«يا لك من مثيرة للدهشة والاعجاب!»

ابتسمت لويزا لاطراء روث، والذي بدا هو الآخر مثيراً للدهشة والاعجاب في بذلته الحريرية السوداء وتحتها القميص البيضاء تلف ياقتها ربطة عنق سوداء جميلة.

ثم نظرت إليه قائلة: «ألم تعد تراني تلك الجاسوسة الحقيرة.»

رفع حاجبيه عجباً ثم قال متجاهلاً تعليقها: «أراك منتعشة من بعد الانفعال الذي انتابك عندما كنا نتسوّق ظهيرة هذا النهار.»

أجابته لويزا: «نعم، يمكنك ان تقول ذلك.»

لقد شعرت بالانتعاش والحيوية عندما خرجت من حجرتها لتراقب النجوم المتلألئة في السماء، قبل ان تتوجه إليه لتتبعه إلى غرفة الطعام.

بينما كانت تحدق في تلك النجوم التي تخايلتها بأنها ستسقط على رأسها، تذكرت شقيقتها التي قد تكون هي الأخرى تحدق بتلك النجوم وتحلم بالرجل الذي أحبته، والذي في طريقها إليه لتشاركه طعام العشاء!

لكنها عادت توبّخ نفسها على أفكارها، وتذكرت بالذي جاءت من أجله، وبأنها لم تأت لتفكر بروث وبجاذبيته، لكن لتجعل شقيقتها تقف عند حدّها وتقنعها بالعودة إلى زوجها وولديها.

أخذت تنظر في ما حولها ثم قالت باعجاب: «يا لها من غرفة جميلة وغريبة، والتي لا يتوقع احد ان يشاهد مثلها على متن يخت.»

اتكأ إلى الحائط وأخذ ينظر إليها وعيناه تومضان اعجاباً بها.

ثم قال وقد فهم بأنها لم تركب يختاً في حياتها من قبل: «وما الذي قد يتوقعه المرء عند ذلك؟»

هزّت بكتفيها غير مبالية ثم قالت: «لا أعرف في الحقيقة. لكنني كنت أتوقع ان أرى شيئاً عادياً.»

ابتسمت بعدما تفوهت بكلامها، فآخر ما يمكن وصف هذه الغرفة ومحتوياتها بالشيء العادي! من الطاولة الخشبية اللامعة إلى الشمعدان الكريستالي الثمين، إلى السجاد الحريري وإلى الأواني الفضية النادرة.

ثم نظرت إليه مضيفة على كلامها بنبرة ساخرة: «أتساءل كيف يكون منزلك، إذا كان يختك على هذه الدرجة من الفخامة؟»

«عن أي منزل تسألين بالتحديد؟» وجاءت نبرة صوته تقطع كلامها تقريباً، ولكنها كانت تستحق منه ذلك، لأنه ليس من شأنها ان تقيم وزناً لحياته الخاصة.

نظرت إليه دون خجل وسألته: «كم هو عدد المنازل التي تملكها يا ترى؟»

«أربعة منازل، في آخر احصاء.»

«ماذا؟ أربعة منازل! هل يسمح لك وقتك ان تعيش فيها كلها؟»

«نعم، وبانتظام.» سكب عند ذلك كوباً من الشراب المنعش وقدمه لها.

شعرت لويزا بانه في مزاج عفوي، مزاج يمكن تسميته بالمزاج الصحافي، وقررت أن تجادله كالنمط الذي كان يجريه عادة زملاؤها الصحافيون معه. وهذا ما يناسبها بالتمام كونها صحافية.

فقالت له وكأنها تجري معه مقابلة صحافية: «وأين تقع منازلك تلك؟»

وشعرت ان الاسلوب الذي تكلمه به، سيثيره ويغضبه، لكنه كان معتاداً على ذلك، ويعرف كيف يخفيه.

وهذا ما حدث فعلاً، فقد أخفى غضبه وقال مبتسماً: «انها تقع في أماكن مختلفة على سطح الكرة الأرضية.»

«ألا تدلني على مواقعها؟»

«لماذا؟ هل ستزورينني؟ لا تقلقي، فعندما أقرّر ان أدعوك، سأعطيك عنواناً دقيقاً.»

هكذا كان يفعل دائماً مع الصحافيين ولا يعطيهم أية معلومات اضافية تهمهم، انه في هذا المجال محترف ولا منافس له.

قالت لويزا بعد ذلك تلمح بكلامها: «وسيكون ذلك يوماً تاريخياً، عندما تدعو فيه صحافية إلى منزلك! هل تخطى صحفي أو صحفية عتبة دارك في يوم من الأيام؟»

أكد لها قائلاً: «لا، أبداً، وانني أهنئك لأنك كنت الأولى في ذلك.»

ضاقت عينا لويزا وقالت بنبرة حادة: «لكنني لم آتِ إليك بصفتي صحفية تريد نشر مقاله، ولقد اخبرتك بذلك قبلاً، جئت فقط لأبحث عن شقيقتي، وعندما التقيت بك كنت خارج نطاق عملي.»

نظر روث إليها متأملاً ثم قال: «اعتقد ان الصحفي لا يكون خارج نطاق عمله ولا بأي ظرف من الظروف، انه العين التي لا تغفل ولا تنام. لذا، انه لشرف لك ان تكوني أول صحفية تأتي لزيارتي قبل الجميع.»

جاء المضيف في تلك اللحظات ليقول لهما ان العشاء أصبح جاهزاً، فقال لها روث: «لنكمل حديثنا ونحن إلى الطاولة.»

فرشت الطاولة بغطاء من اللينين الفاخر، وتوزعت الكراسي ذات القماش المخملي من حولها. وجلس روث على رأس الطاولة ولويزا إلى يمينه. انها لم تجلس في كل حياتها إلى طاولة بهذا الحجم.

فكرت لويزا وهي تنظر إلى شكل وجهه الجانبي، كم انه عنيد وحقود، متمنية لو انه يصدق ما قالته له وينزع من رأسه تلك الفكرة السيئة التي يتهمها بها.

أمسكت بالملعقة لتتناول من الحساء الذي في طبقها، ثم قالت: «لماذا تكره الصحافيين بهذا المقدار؟»

نظر إليها نظرة هزّت كيانها ثم قال: «من قال لك انني أكرههم؟ لا تسيئي استعمال كلمة الكره.»

تناولت بعضاً من الحساء ثم قالت: «لكن تصرفاتك تؤكد لي وبقوة انك تكرههم.»

نظر إليها مطولاً قبل ان يقول: «هل استنتجت ذلك من خلال معاملتي لك؟ فأنت وأنا نشكل معاً ثنائياً مختلفاً كل الاختلاف.»

تابعت لويزا تناول الحساء دون ان تتذوق أي طعم له. ثم قالت: «لم أقصد بكلامي عنك وعني... بل كنت أتكلم بصورة

عامة... فأنا في الحقيقة اعتقد بانك تكره الصحافة والصحفيين.»

«كما قلت لك سابقاً، انك تسيئين استعمال كلمة الكره... انني في الواقع احتقر بعضاً من أهل الصحافة. ولكنني، صدقي أو لا تصدقي، فأنا معجب ببعضهم الآخر.»

ضحكت لويزا قائلة: «لا أستطيع ان أصدق ذلك! فمن هم الذين تعجب بهم؟ سمّ لي البعض منهم.»

ابتسم ثم قال: «لكن ومع ذلك، حتى هؤلاء الذين اعجب بهم، اتركهم بعيدين مني، كي لا يستغلون عاطفتي تجاههم.»

قالت لويزا عند ذلك كلاماً طالما فكرت ان تقوله له: «إذاً، لماذا انت على اتصال بهم، وفي نفس الوقت تقول انك تفضل ان تبقى بعيداً عنهم، ولماذا توافق على اجراء تلك المقابلات؟»

اجابها كمن يدافع عن نفسه: «يضغط علي أحياناً في ذلك.»

قالت مازحة: «تقصد انهم يكبلونك بالحديد ويجبرونك على ذلك؟»

ابتسم لدعابتها قائلاً: «لا، ليس إلى هذا الحد.»

«لا، لا اعتقد ان أحداً يتجرأ على ذلك معك.» قالت ذلك ثم ندمت على قولها الذي بدا وكأنها تجامله، لكنها تابعت تقول: «كما انني اعتقد ان سبب ظهورك على الشاشة الصغيرة وفي الصحف، لأنك تتمتع بتعريف الجمهور عليك أكثر، وتعتز نفسك بأن صورة وجهك مطبوعة في ذهن الناس، كما وانه يسعدك ان تنقل آراؤك ووجهات نظرك إلى الصحف!»

«إذاً، تتصورين انني اوافق على اجراء تلك المقابلات بدافع الغرور والشموخ، لكنني أقول انك مخطئة في تصوراتك مثل العديد من مثيلاتك.»

«صحيح؟» قالت بنبرة هادئة مشككة، واعتقدت في الوقت نفسه ان معه كل الحق ليكون مغروراً بما يملكه من ميزات تجذب الآخرين ليتحلقوا حوله. ثم تابعت تقول: «لكن الذي اعتقده أيضاً، انه في امكانك ان ترفض اجراء تلك المقابلات كما وانه، لا أحد يجبرك على ذلك.»

«انني أقوم بذلك أحياناً.»

«وأحياناً أخرى توافق عليها.»

«عندما أشعر انني مجبر على ذلك.»

ابتسمت ساخرة ثم قالت: «مجبر من أية ناحية؟ لا تقل لي انك تقوم بها تحسساً بواجبك تجاه المجتمع!»

«لا، ليس كما تدعين.»

خيّم الصمت عليهما وهما يتناولان الطعام، وتعجبت لويزا كيف ان الحديث الذي جرى بينهما لم يسبب لهما المشاجرة.

وضعت الملعقة على حافة الطبق ثم نظرت إليه قائلة: «إذاً لماذا توافق على اجراء تلك المقابلات؟»

نظر إليها وقال: «لقد قلت لك، لأنني أشعر بأنني مجبر على ذلك. فهناك أمور كثيرة اعتبر نفسي بأنني خبير فيها، وعندما يطلب مني ان اسلط الضوء عليها، فلا ارفض عندها في ان أظهر في برامج الاعلام لأعطي شرحاً وافياً عنها، واعتقد أن من واجبي ان اطلع الجمهور على الأشياء التي يجهلها.»

لم تستطع لويزا ان تجادله في ذلك، لأنه هذا هو منهاجها أيضاً وطبيعة عملها.

وقالت: «ولأجل ذلك وجدت الصحافة، لتبلغ وتفهّم العالم بالذي يرغب معرفته. لكن الذي يحيرني وعذراً ان كنت صريحة معك، لماذا تظهر العداء للذي يجري معك المقابلات وللصحافيين؟ واشعر أحياناً بأنك تعتمد ان تصعّب عليهم الأمور بدل ان تجعلها سهلة.»

«أهذا ما تظنينه؟»

«نعم.»

«لكن كيف؟»

شعرت لويزا بأن الجو بينهما بدأ يسوده عدم التفاهم والانسجام، فأجابته بنبرة هادئة: «فمثلاً إذا تفوهوا بكلمة لم تناسبك، أو سألوا بطريقة لم تعجبك، أراك تحطم كبرياءهم وتحرجهم في مواقفهم.»

بينما كانت تقول له ذلك، تذكرت احد زملائها الصحافيين والذي كان يجري معه مقابلة على الشاشة الصغيرة، وكيف ان المسكين ارتبك ولم يعد يعلم كيف يستمر معه بالمقابلة التي كانت جزءاً من مهنته وواجبه، فقام روث وأمام الملايين من المشاهدين، بتحجيمه وجعله حطاماً.

أكمل روث طبق الحساء ثم قال لها: «انني أقوم بذلك، فقط عندما أرى انهم يستحقون ما أفعله بهم.»

نظرت إليه بدهشة قائلة: «تقول يستحقون؟ كيف، وهل يجوز ان يستحقوا تلك الخشونة منك؟»

«لهم كل الحرية في ان يبادلوني الخشونة ان أرادوا، وقد فعل بعضهم ذلك بالفعل.»

«لا ذنب لهم، فهم أمام خبير محنك في هذه الأمور.»

«إذاً، ليبذلوا جهدهم كي يصبحوا هم أيضاً خبراء، فأنا لا أتصرف بخشونة إلا عندما أراهم يشوّهون الموضوع عندما يطرحون أسئلة سخيفة.»

يا لتصرفه المتغطرس المتعالي! فكرت لويزا.

واسرعت تقول له: «كان يجب ان اتنبه بأنك ستصل إلى شيء كهذا.»

«لو فكرت ملياً بالأمر، لوجدت انني محق بذلك.» جاء المضيف في هذه الأثناء ليضع أمامهما طبقاً شهياً من السمك وعندما ابتعد عنهما تابع روث قائلاً: «وستكتشفين بأنني غير ملام.»

فكرت لويزا بالأمر بينما كانت تضع في طبقها سلطة الخضار، وتذكرت ان احد زملائها، كان يطرح عليه اسئلة سخيفة لا معنى لها، وتذكرت كيف اضطربت لذلك وقد عرفت ما سيحصل لزميلها المسكين عندما اشتعلت عينا روث بالغضب.

لكن هذا ليس عذراً في ان يحطم معنويات ضحاياه من الصحفين، ويجعلهم مترددين ومرتبكين أمام مشاهدي الشاشة الصغيرة.

«لكن لا عذر لك في تصرفك الحاقد هذا، وكلما سألك أحدهم اسئلة سخيفة لا تروق لك، تتصرف معهم وكأنك جلاد ينفذ فيهم حكم الاعدام.»

«هل اصبحت الآن بنظرك جلاد؟» قال ذلك مبتسماً وكأنه وجد هذا الأمر مسلياً، ثم تابع يقول: «إذاً، لماذا يسمحون لي بجلدهم؟ من المفروض ان يكونوا على قدر المسؤولية، ويعاملونني بالمثل.»

وبينما كان يتكلم مدّ يده ليتناول طبق السلطة، فمدت لويزا يدها هي الأخرى إلى الطبق بطريقة لا شعورية لتدفعه إليه وقالت: «لكنك ذكي وحذق جداً بالنسبة إليهم.»

كانت نظراتهما تنصب على طبق السلطة وكل واحد يمسك بجانب منه، ثم رفعا نظرهما إلى بعضهما ليقول روث: «شكراً لك.»

سحبت لويزا يدها عن الطبق وفكرت، على ماذا يشكرها؟ الأنها دفعت بطبق السلطة إلى قربه، أم لأنها اثنت على ذكائه؟

فإذا كان يشكرها على مبادرتها بدفع الطبق إليه، فهذا يعني انه بدأ يبدل من تصرفه، فحركة مثل هذه، كانت في السابق تثير غضبه لأنه يرفض اعانة من النساء ويصفهم بالامهات.

وتابعت لويزا تفكر، لماذا شكرها، وفضلت ان يكون السبب هو تفكيرها الأول. فحركتها العفوية بدفع طبق السلطة نحوه وقبوله لذلك، جعلها تشعر بإلفة ومودة نحوه.

لكنها تظاهرت وكأنه كان يشكرها لأنها أثنت على ذكائه وقالت: «لو كنت مكانك لما كلفت نفسي بشكرك، وذلك لأنني لم اقصد المجاملة.»

«نعم، انني أفهم ذلك.» قال ذلك مبتسماً وكأنه مسرور لما تعانيه من الاحراج النفسي الواضح من كلامها، ثم تابع يقول لها: «أتعلمين، كنت أتساءل أحياناً كيف قد تتصرفين لو اجريت انت معي مقابلة ما.»

«هذا شيء لا يعلمه أحد غيري، ولكن، وفي أية حال، فأنا لا أجري مقابلات مع أشخاص أمثالك.»

«هذا ما أعتقده أنا أيضاً...»

قاطعته لتوضح قولها: «أجري مقابلات فقط مع الفنانين ومع مخرجي الأفلام و...»

«ومع ذلك، قرّرت التغيير قليلاً.»

«ماذا تعني؟»

«أعني كتابك الذي ترغبين بنشره.»

«تعني الكتاب الذي يتكلم عنك؟ لكن ليس هناك أي كتاب بصددك.»

«أعرف ذلك، وقد قطعت عليك هذا العمل.»

«لكنني أؤكد لك انني لم أفكر يوماً بنشر كتاب يعنيك بشيء، يا سيد المان. وأتمنى لو انك تأخذ كلامي بملء الثقة والصدق.»

ابتسم قائلاً: «ضيوفي إلى العشاء ينادونني دائماً باسمي، روث.»

تورّد خدا لويزا خجلاً، ولم تقوَ على النظر إليه. لقد كانت في الحقيقة تريد ان تناديه باسمه روث، لكنها غيّرت رأيها في اللحظة الأخيرة ودعته بالسيد المان. ذلك لأنها شعرت بان شفتيها لن تقويا على التفوه باسمه المجرد دون ان ترتجفا.

مع ذلك، فكرت في ان ما تشعر به في غاية السخافة، فهي عادة تنادي أي رجل تتعرف عليه باسمه الأول، وكان يصدر ذلك منها بصورة عفوية وطبيعية، دون أن ترتجف شفتاها. فلماذا إذاً، يختلف شعورها عندما يعود الأمر إلى روث المان؟

ان الجواب على مثل هذا السؤال حيرها واربكها وكأنها

أمام لغز معقد، لكنها كانت تدرك أمراً واحداً، ان كل شيء حول روث والطريقة التي يتصرف بها معها، لا يمكن ان تجدها في أي رجل آخر. وتأكد لها انه من المستحيل ان تلتقي برجل آخر يشبه روث وله هذا الانفعال البالغ في نفسها.

«هلا نذهب ونتناول القهوة في الخارج؟»

وافقت لويزا قائلة: «نعم، يسعدني ان نتناولها في الخارج.»

وتساءلت، هل من الممكن ان يكون الشجار الذي حصل بينهما منذ ليلة البارحة فقط؟ انه يخيل إليها انه مضى عليه وقت طويل، إذاما قيس بالحوار الذي دار بينهما في هذه الأمسية من المودة والألفة.

طلب روث من المضيف بأن يلحق بهما بالقهوة إلى الخارج، ثم فتح الباب ودعا لويزا لتخرج منه إلى سطح اليخت.

اتكأت لويزا على الدرابزين وتنهدت وهي تنظر إلى مياه البحر التي التمعت تحت ضوء القمر، ثم قالت مبتسمة: «يا للدهشة، كم احب أمسيات مثل هذه، فأنا احسدك على قضائك بعض الوقت هنا.»

كان يقف إلى جانبها حين قال: «أتمنى لو كان في امكاني ان اقضي أوقاتاً أكثر من ذلك، كما ان هذا المكان من أفضل الأمكنة للراحة والاستجمام.»

«اعتقد انك تضغط على نفسك بالعمل في بعض الأحيان، ويجب ان تنصفها وتمنحها اجازات متقاربة.»

«هل ترينني مرهقاً إلى هذه الدرجة وانني في حاجة إلى

تلك الاجازات؟ انها المرة الأولى التي اسمع فيها شيئاً من ذلك.»

ارتبكت وحاولت توضيح كلامها: «لم أكن اقصد ذلك... وانت تعرف ما أقصده جيداً! لكنه كما يتهيأ لي، ان حياتك مليئة بالضغوطات العملية.»

«قد يحدث ذلك أحياناً مثل أي عمل آخر.»

ثم رشف من فنجان القهوة في اللحظة التي كانت لويزا ترشف كذلك من فنجانها والتقت نظراتهما عند حافة فنجان كل منهما، فتابع يقول: «لكنني اعتبر نفسي محظوظاً، لأنني واحد من هؤلاء الذين تزدهر اعمالهم أيام الضغوطات التي تصادفهم.»

«اعرف ماذا تقصده، فالضغط أحياناً يفعل العجائب، فقد قمت بأحد أفضل منشوراتي وذلك بعد عمل متواصل ومرهق... لكن بالنسبة إليك، يبدو لي ان الضغط دائم في عملك ولا يهدأ في كل تلك الشركات التي تملكها والتي تحتاج منك لقرارات حازمة.»

ابتسم عند ذلك قائلاً: «ولا تنسي تلك المقابلات التي يتوجب علي ان أتحملها...»

فأجابته مداعبة: «نعم، وانه أعظم من أي شيء آخر. وما من أحد يستطيع أن يلومك بعد كل ذلك، إذ تهرب إلى البهاماس من وقت لآخر كي تريح أعصابك من الصحافة وعالمها.»

خيّم صمت وجيز بينما كان ضوء القمر يخيم عليهما بنوره المشع، ثم قال: «وأنت يا لويزا، ماذا تفعلين عندما تشعرين انك في حاجة للراحة؟»

«آه، هذا وذاك.»

ابتسم قائلاً: «وما يعني ذلك؟ لم أفهم.»

«أمارس الرياضة... مثل كرة المضرب في فصل الصيف، أو كرة الطاولة في فصل الشتاء، أو اقرأ، أو أشاهد الأفلام.»

قال: «أحب أيضاً ممارسة كرة المضرب. كما ان هناك ملعب على متن هذا اليخت، فما رأيك لو نمارس هذه اللعبة في وقت من الأوقات؟»

أشارت لويزا برأسها موافقة، وأرادت ان تقول له، يا لها من فكرة حسنة، لكن هذه الكلمات لم تخرج من فمها لشدة توترها.

«لماذا لا تضعي فنجان القهوة جانباً؟» ثم تناول من يدها الفنجان وتابع يقول: «اعتقد انك ستشعرين براحة أكثر ويداك متحرّرتان من أي شيء.»

لم يدع للويزا مجالاً لتفكر بالذي كان يعنيه، فقد ابتسم لها وقال: «هذا أفضل، أليس كذلك.»

ونظرت إلى يديها لتجدهما ترتجفان. ثم نظرت إليه وهي تشعر بقلبها ينبض بشدة.

وتساءلت، هل الذي يجري معها الآن حقيقة، أم وهم؟

الفصل السابع

فهمت لويزا حقيقة ذلك الشعور الغريب الذي كان ينتابها من وقت لآخر وادركت أمراً واحداً وهو انها احبت هذا الرجل الصعب المراس روث المان.

بقيا واقفين في تلك الليلة الرائعة المقمرة يتأملان النجوم وكأنما يحاولان ان يعرفا كم عددها، هو يتأملها وهي تحاول ان تجد جواباً على الذي يجري. لكن، فكرة واحدة سيطرت على رأسها، انها لم ولن يوجد رجل شبيه به.

وقطع الصمت الذي يلفهما قائلاً: «كم انت رائعة، يا لويزا.»

احتارت بماذا تجيب، فهي لا تصدق ولا تعي هذه اللحظات التي تجمعهما في مكان رائع وهادىء مثل هذا. وشعرت بهاتف يهتف لها في داخلها، ان القدر هو الذي أتاح لهما هذه اللحظات ليجمعهما مع بعضهما في النهاية.

وقالت مترددة: «روث، انني...» لكنها لم تستطع ان تكمل كلامها، وفضلت ان تبقى متمتعة بوقفتها إلى جانبه. وبعد ذلك، وعندما تعود إلى حجرتها، ستطلق العنان لأفكارها وقلبها من كل جوانبها، ولا بد ان تتوصل إلى اجوبة عن تساؤلاتها العديدة التي تدور في رأسها لانقلابه المفاجيء نحوها.

كان في كيان لويزا سعادة لا توصف، كأنما حمامة ترفرف على قلبها بأجنحتها البيضاء وترقص طرباً لها. ثم رافقها إلى غرفتها متمنياً لها ليلة هادئة وأحلاماً حلوة، واستسلمت فعلاً لأحلام جميلة، وكان يرافقها فيها روث الذي ايقظ في نفسها الشعور بالعاطفة والمحبة.

استيقظت لويزا صباح اليوم التالي على صوت هدير طائرة مروحية، وارتفع صوت الهدير أكثر وأكثر ليصمّ الآذان، فنهضت من السرير بسرعة إلى النافذة وأزاحت ستائرها لتنظر إلى الخارج.

وجدت ان الطائرة المروحية على وشك ان تحط على سطح اليخت، بينما وقف روث وعدد من أفراد طاقمه ينتظرون هبوطها.

وتساءلت لويزا بفضول عن جنسية الذي كان على متنها، وبقيت واقفة إلى النافذة تنتظر هي الأخرى.

أخيراً، حطت الطائرة المروحية فوق سطح اليخت، وهدأ فجأة هديرها المزعج. ثم ظهرت على بابها امرأة طويلة القامة وشعرها الأحمر يتطاير حول وجهها، وصرخت ببهجة عندما رأت روث واندفعت نحوه.

شعرت لويزا في تلك اللحظات الحرجة بموجة عارمة من الغيرة، غيرة لم تنتابها يوماً في حياتها من قبل، ورأتهما يتصافحان بشوق.

فارتجفت عند ذلك وقد شعرت بقشعريرة باردة تلفها من رأسها إلى أخمص قدميها.

وبأصابع مرتجفة، سحبت يدها عن ستائر النافذة، بينما روث وتلك الحسناء غابا عن نظرها. كانت في حالة يرثى

لها من الهواجس والأفكار المضنية وكان جسدها يرتجف كورقة في مهب الريح.

جلست على سريرها باعياء وحدقت بجدران الغرفة وقد غمرها خوف شديد من المجهول القادم اليها دون علم مسبق.

وتذكرت وقفتها معه ليلة البارحة والأحلام السعيدة التي حلمت بها أثناء نومها وتساءلت، أيمكن ان تكون انخدعت بمشاعرها تجاهه؟

وتذكرت انه كان صديقاً لشقيقتها، وقد تخلت لأجله عن اسرتها وحياتها الزوجية لتلحق به.

أخذت ترتدي ملابسها بتمهل وهي تفكر بألم، انها وحتى وصول هذه الحسناء الجميلة، كانت قد نسيت كل ما يختصّ بريتا، هذا المشهد الرقيق الذي شاهدته ما بين روث وتلك الحسناء أزعجها وجعلها تشعر ان الجو عابق بالخيانة.

وقرّرت ان تلازم حجرتها ليتسنى لها ان تتأمل بهذه المستجدات التي لم تخطر على بالها.

غمرتها موجة من الأسى والألم، فاستلقت على سريرها وحدّقت بسقف حجرتها، ثم تدحرجت دموعها الساخنة على وجنتيها بحسرة ولوعة.

أمضت لويزا بعض الوقت في حجرتها وهي على تلك الحالة من الحزن والاضطراب، وعندما أحسّت انها أحسن حالاً نوعاً ما، لم تعد تطيق البقاء وحيدة في حجرتها. فخرجت منها ومشت بتكاسل في الممر الضيق وصعدت السلالم التي تؤدي إلى سطح السفينة.

ووجدته هناك كعادته يتناول طعام الفطور، ولاحظت ان المقعد الذي إلى جانبه قد شُغل، ومن المؤكد ان صاحبة الشعر الأحمر هي التي كانت تشغله، ولكنه وفي هذه اللحظات كان بمفرده يتناول القهوة.

اقتربت منه برأس شامخ، لكنها ضعفت وارتجفت وأحست بثقل خطواتها عندما التفت إليها فجأة مبتسماً، وهو يقول: «صباح الخير، تبدين في أحسن حالاتك هذا الصباح، ولن اسألك هل نمت جيداً، لأن ذلك واضح وجلي على وجهك.»

أحسّت بغصة في حلقها وتساءلت كيف يمكنه الابتسام وبهذه البرودة، الا يشعر بالخجل ولا مرة واحدة لتصرفاته؟ وتملكها الغضب الشديد الذي ألهب وجنتيها.

ثم نظرت إليه وسألته باستهزاء: «من تكون صاحبة الشعر الأحمر؟»

ضاقت عيناه وهو ما زال يبتسم لها دون مبالاة. لم يجب عن سؤالها بسرعة، ثم شعت عيناه بمكر وخبث وهو يقول ببرود: «انها شقيقتي.»

أجابته بسخرية: «آه، حقاً. وهل تعلم ريتا بأمر شقيقتك، أو العكس، هل تعلم شقيقتك بأمر ريتا؟»

ابعد نظره عنها بكبرياء ودون مبالاة، ثم سكب مزيداً من القهوة في الفنجان ليقول بعد ذلك: «وما شأنك أنتِ بذلك؟ كيف تمنحين لنفسك الحق بالتدخل في شؤوني الشخصية والخاصة؟»

«أملك كل الحق، ام انك نسيت انني شقيقة ريتا؟»

عاد ينظر إليها طويلاً هذه المرة قبل ان يقول: «تعنين

بتجاوبك السريع معي؟ آه، أتدرين، يدهشني تشابهكما الشديد بهذه الصفة وعدم تشابهكما بالشكل.»

ثارت لويزا غضباً واعترضت على كلامه قائلة: «انني لا اعتز بتجاوبك معي أمس، بل احتقر نفسي لما حدث.»

نفى روث ما قالته باشارة من رأسه، ثم قال: «لا، لا اعتقد انك من الممكن ان تحتقري نفسك، خصوصاً بعد الذي خبرته بنفسي.»

ازدادت لويزا غضباً وهي تقول: «كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه الطريقة؟»

لكنه لم يجب بشيء، واشاح بنظره عنها ليتابع رشف القهوة بهدوء، بينما تابعت هي النظر إليه بغضب ممزوج بالأسى والندم.

فمن كان ليصدق أن الأمور ستصل بهما إلى هذا الحد من الانسجام والمودة؟ ولقد تصور لها بأنها يمكنها ان ترى وتلمس الرقة واللطف.

من المؤكد انها كانت تخدع نفسها، وانها لم ترَ ولم تلمس شيئاً من ذلك. وان ما رأته في الحقيقة ولمسته، لم يكن سوى خداع ومكر لرجل، لا هم عنده سوى سعادته ويعتبر المرأة لعبة يتلهى بمشاعرها واحاسيسها دون رحمة أو شفقة.

حاولت ان تتخلص من الألم الذي غمر روحها مؤنبة نفسها، بأنها ليس لها أي سبب لتكون على هذه الحالة من الألم والحقد عليه، وما كان عليها ان تخدع نفسها بهذه الأمور منذ البداية وتتذكر بأنه رجل متسلط يقاوم في الحصول على ما يريده ويتمناه، وخالٍ من العاطفة التي تؤمن بها وتقدسها.

تمالكت أعصابها وهي تحاول ان تبعد الغضب المسيطر عليها والذي لا مبرّر له، وبأن ما من شيء يربطها بروث، ثم قالت: «وأين هي صاحبة الشعر الأحمر الآن؟»

«اذهبي وفتشي عنها إذا كان الأمر يهمك. على أية حال، انه من خصائصك، ان تبحثي في يختي عن النساء المختفيات.»

رفعت رأسها بكبرياء وتعالٍ، ثم قالت: «في الحقيقة، أنا لا أهتم بها ولا بمكان وجودها الآن.» ثم قالت في نفسها: اهتمامي يعود لمصلحة ريتا فقط، لأنك تخونها، ولا تخونني أنا.

ابعدت نظرها عنه وقد شعرت بأنها لن تستطيع الاستمرار في هذه المناقشة التي لا تعلم لما ارادتها وسيطرت عليها منذ البداية.

قطع عليها حبل افكارها ليقول كلاماً جمّد الدم في عروقها: «سوف لا ترين صورة وجهي لبعض الوقت، لأنني سأستقل الطائرة المروحية لأذهب إلى جزيرة آزورا.»

استدارت لويزا نحوه بسرعة وقالت: «لترى ريتا؟ خذني معك إذاً.»

خيّم عليهما الصمت، فيما كان روث ينظر إليها في هذه الأثناء بريبة وشك، ثم قال لها بهدوء: «اعتقدت انك لا تعرفين مكانها؟»

كان في استطاعتها ان تخبره بأمر الرسالة التي رأتها في يد المضيف صدفة، وان تبرّر موقفها، انما غمرها شعور مفاجيء بأن تجعله يتأكد من أنها كانت فعلاً تخدعه طوال الوقت. فليذق هو الآخر طعم الخيانة ومغبتها أيضاً!

أجابته وهي تبتسم ببرود: «كذبت عليك، لكن هل هذا يهمك؟ دعني اذهب معك إلى جزيرة آزورا.»

نظر إليها بوجه منقبض ثم قال: «لا، لن أوافقك في ذلك، فان اردت الذهاب، فحاولي ان تدبري لنفسك طريقة أخرى.»

اقتربت لويزا أكثر منه قائلة: «لا تكن سخيفاً، اعرف أين تكون... فهي تنزل في فندق الشاطيء. فإذا أخذتني معك، لن أكون حجر عثرة في طريقك بعد اليوم. على أية حال، لن يكون هناك من ضرورة لعودتي إلى اليخت، وعندما اصبح خارجه، تستقر نفسك وترتاح ويرتاح جواسيسك الذين عينتهم لمراقبتي.»

ابتسم ببرود قائلاً: «تفكرين بطريقة سهلة. لكن ما الذي يجبرني لأقدم لك أية خدمة؟»

«ولكن ألا ترى ان ذلك يكون أفضل من ان تتركني على متن هذا اليخت؟ وبهذه الطريقة سأفسح لجواسيسك المجال عن عدم ارهاق نفسهم بمراقبتي... ومن يدري، فقد ابعد عنهم الضرر والأذى من أي حادث قد يصادفهم خلال تجسسهم عليّ.»

نظر إليها بحدة قائلاً: «اشك في ذلك، فرجالي مدربون على مواجهة كافة أنواع الحوادث والصعاب.»

ثم نظر إليها نظرة، شعرت بعدها بأن روحها تغور في أعماقها. وتساءلت ماذا لو هو رفض طلبها، فكيف سيمكنها الوصول إلى جزيرة آزورا؟ فهي لا تحمل مالاً.

وغمرها فجأة تفكير مفاجيء يصرّ عليها ان تصل إلى ريتا بأسرع وقت ممكن، أو ربما قد تحصل كارثة لا تعود بنفع على أحد.

لقد أصبحت تعرفه جيداً وتعرف طبعه وأخلاقه، وفي هذه الحال، لا أمل لها بالذهاب إلى جزيرة آزورا، ان زادت من توسلاتها. فابتعدت عنه وقد لمعت في رأسها فكرة ما، فقالت له: «حسناً، وفي هذه الأثناء، يمكنني ان استفيد بشيء ما طيلة غيابك عن اليخت.»

ابتعدت عنه نحو السلالم الخشبية التي تؤدي نزولاً إلى الحجرات، وعندما وصلت إليها وأرادت ان تهمّ بالنزول، شعرت بقلبها يخفق بسرعة عندما سمعته يقول: «حسناً، سآخذك معي.»

انها المرة الأولى التي تركب فيها لويزا الطائرة المروحية لتنتقل من مكان إلى آخر، ولولا الظروف العصيبة التي تمرّ بها، لكانت استمتعت بكل دقيقة من هذه الرحلة القصيرة.

جلست على مقعد قرب روث ووجهت نظراتها إلى البحر المتلألىء بأشعة الشمس وقد سحرتها ألوانه المتعددة.

فمن كان يتصور بأنها ستكون في هذا المكان الرائع من البهاماس، وجالسة في طائرة مروحية خاصة؟ فمنذ اسبوع مضى، لم تحلم أو يخطر على بالها ان ذلك قد يكون ممكناً.

لكن الذي دفعها إلى المجيء إلى هذا المكان، مأساة حصلت وعليها ان تجد لها نهاية. وهذه المأساة تعود إلى شقيقتها التي ستلتقي بها وجهاً لوجه في وقت قريب.

حاولت وقبل ان تقلع الطائرة، ان تسأل روث عن سبب ذهابه إلى آزورا: «لماذا أنت ذاهب إلى هناك، هل لرؤية ريتا؟ وهل اصابها مكروه؟»

أجاب ببرود وعدم مبالاة كعادته: «ليس على حد علمي.»

لكنها ألحت قائلة: «هل تريد ان تصالحها؟ على كل حال، من المؤكد انك لست في حاجة إلى صديقتين في وقت واحد.»

كانت تعني بكلامها صاحبة الشعر الأحمر وريتا طبعاً، وعادت تسأله: «أين صاحبة الشعر الأحمر الآن؟ ماذا حصل لها؟ ألن تأتي معنا؟»

لكنه لم يجب أيضاً عن هذا السؤال، ففهمت لويزا، انه من المؤكد، لا يريد ان يجمع ما بين صديقته القديمة وصديقته الجديدة. كما انها ادركت ما الذي سيحدث في اللحظات المقبلة، فسوف تتلقى ريتا من روث وبصورة نهائية، اعلانه بالتخلي عنها.

وشكرت لويزا حظها لأنها ستكون معهما في ذلك الوقت، يا لريتا المسكينة التي تنتظرها أمور لم تحسب لها أي حساب. ورسالتها له، لم يكن فيها سوى توسلات كي يمنح لصداقتهما فرصة جديدة.

وعادت تشكر حظها من جديد، بأن شقيقتها ستجد كتفاً حنوناً ترتمي عليه لتشهق بالبكاء.

استغرقت الرحلة عشرون دقيقة، وابتدأت الطائرة المروحية تحوم فوق جزيرة آزورا، لتستعد بعد ذلك للهبوط.

استطاعت لويزا بينما كانت الطائرة المروحية تهبط فوق سطح احد الفنادق، ان تقرأ اسم الفندق، فقالت: «هذا ليس بالفندق الذي تقصده! فالفندق الذي تنزل ريتا فيه اسمه فندق الشاطىء.»

أجاب بينما كان يخرج من الطائرة: «نعم، اعرف ذلك،

ولكنني سأنزل في هذا الفندق بالذات، ويمكنك ان تذهبي أينما شئت.»

تجاهلت يده الممتدة لتساعدها في النزول قائلة: «من الطبيعي جداً، ان اكون إلى جانب شقيقتي ريتا. كما انني عازمة على الذهاب إليها فوراً.»

قال وهو يمشي أمامها إلى الباب الذي يؤدي إلى داخل الفندق: «لا تقلقي، فأنا سأذهب معك أيضاً. يجب ان انهي هذه المسألة بأسرع ما يمكن.»

يا له من سافل حقير! فكرت لويزا وهي تسرع الخطى لاحقة به، وقد امسكت بكيس بلاستيكي فيه مستحضرات للزينة فقط، مع ان روث طلب منها ان تحضر معها كل شيء ابتاعه لها، لكنها تركت تلك الملابس الفاخرة معلقة في خزانة حجرتها تنتظر من يسلمها إلى الجمعيات الخيرية.

نظرت إلى ظهره بكره وحقد حينما كان يمشي أمامها، وقالت: «أعرف ما الذي تنوي ان تفعله، ولكن ارجوك ان تؤديه بلطف معها، فريتا ليست سلعة بين يديك تحتفظ بها ثم ترميها ساعة تشاء!»

التفت نحوها بعينين قاسيتين قائلاً: «يبدو انك تعرفين الكثير، فما الذي تعرفينه بعد؟»

قالت له بحدة: «بأنك تريد ابلاغها بفسخ صداقتكما.»

«أليس هذا ما كنت تريدينه منذ البداية؟ من المفروض ان تكوني سعيدة من ذلك.»

«نعم هذا صحيح، فأنا أطلب لشقيقتي السعادة التي لن تجدها إلا بعد عودتها إلى بيتها الزوجي، لكن لا أريد لها الأذى. لذا، ارجوك ان تكون لطيفاً معها.»

قال وهو يتابع سيره أمامها: «سأحاول جهدي.» وكأنما همه الأول والوحيد، هو ان يبلغها قراره النهائي بالتخلي عنها، وان يكون ذلك في أسرع وقت ممكن، ثم يسرع بالعودة إلى صاحبة الشعر الأحمر.

نزلا على سلالم ضيقة، أدّت بهما في النهاية إلى مدخل الفندق، لتجد لويزا نفسها في قاعة استقبال أنيقة.

فكرت لويزا انه ليس من المستغرب ألاّ تنزل شقيقتها في مثل هذا الفندق، ففندق فخم كهذا يحتاج منها إلى راتب شهر كامل لليلة واحدة!

لم يضيع روث وقته، بل قام بالحجز اللازم ثم اعطى للبواب حقيبته الصغيرة وخرج يسأل عن سيارة أجرة. وبعد لحظات قليلة، كانا في طريقهما إلى فندق الشاطىء.

وجدت لويزا فندق الشاطىء متواضعاً جداً بالنسبة إلى الفندق الأول، وهو من الفنادق التي تنزل فيها عادة. أخذت ترتجّف بعصبية عندما وقفت إلى جانب روث الذي كان يتحدث مع موظف الاستعلامات.

وتساءلت، ما الذي سيحصل الآن؟ وشعرت بقلبها يحنّ وبقوة نحو شقيقتها.

قال روث: «جئنا لرؤية السيدة براونينغ، وهذه الشابة تكون شقيقتها. من فضلك اتصل بغرفتها وابلغها باننا نريد رؤيتها.»

هزّ الموظف رأسه قائلاً: «لقد اعطتني مفتاح غرفتها وخرجت منذ ساعتين.»

«لكنها ما زالت تحجز غرفة في هذا الفندق، أليس كذلك؟ ولم تتركها نهائياً.»

«لا، وأتوقع ان تعود في أي وقت من الآن، انها عادة لا تتأخر أكثر من ذلك.»

«سننتظرها إلى ان تعود. ثم ارجو منك ان تحجز غرفة لشقيقتها.» ونظر روث إلى ساعة يده بوجه عابس، كأن لا همّ عنده سوى الوقت الذي يضيع منه سدى.

ولكن ما حصل، انه ضيّع وقتاً أكثر مما كان يتوقعه، فقد مضى على انتظارهما لريتا أكثر من اربع ساعات ولم تظهر حتى الآن.

وعند الظهر، تناولا بعض السندويتشات وهما صامتان. ثم وعندما اقتربت الساعة من الثالثة، شعرا بالتعب والملل.

فقال روث فجأة: «سأذهب إلى الفندق لارتاح قليلاً. وسأعود بعد ساعة. فإذا عادت في هذا الوقت، حاولي ان تبقيها وان لا تدعيها تخرج من جديد.»

أجابته لويزا بحدة بينما وقف هو ليهم بالمسير: «لا تقلق، فأنا لن ادعها تخرج قبل عودتك.»

مع مرور كل دقيقة، كان غضبها يزداد اشتعالاً وكرهاً لروث ولهذه الورطة التي أوقعها وأوقع شقيقتها فيها. وعادت تفكر بتلك الرسائل التي جعلها آلان تقرأها والتي كانت ريتا قد كتبتها بخط يدها تصف فيها حبها وشوقها إليه.

عاد روث بعد ساعة، ولكنه لم يظهر أي وجود لريتا حتى الآن، ووجد لويزا بمفردها تتمشى في ردهة الفندق بعصبية ظاهرة.

نظرت إليه وقالت وكأنها تتهمه: «أين من المفترض ان تكون الآن؟ ربما قد علمت انك موجود هنا وتخشى ان تواجهك؟»

لم يكن يبدو على وجه روث الارتياح، ونظر إليها نظرة غاضبة وقال لها: «لست أدري، ودعيني انكرك بأنني لست مسؤولاً عن شقيقتك.»

«ايها الحقير!»

تأكدت لويزا انها لو لم تكن موجودة في مكان عام، لكانت صفعته على وجهه ولكنها ابتعدت عنه كي لا تقوم بأي عمل أحمق، وتابعت تسير في ردهة الفندق جيئة وذهاباً بغضب وانفعال.

تساءلت في نفسها، أين قد تكون ريتا الآن، وهل أصابها أي مكروه يا ترى؟

حلّ الظلام وهما لا يزالان ينتظران ريتا، وشعرت لويزا بضيق في صدرها، فخرجت تستنشق الهواء العليل في الخارج.

وجدت حدائق غنّاء تؤدي إلى الشاطىء، فمشت نحوها باعياء وهي تنظر من وقت لآخر إلى مدخل الفندق وفي قلبها خوف شديد على شقيقتها.

وخامرها شعور أكيد بأنه قد حصل أمر رهيب، ومأساة أليمة. ثم سمعت وقع خطوات وراءها، فدارت بسرعة ونادت: «ريتا؟»

كادت ان تبكي وتلطم خدها عندما لم تجد ريتا، بل روث يتجه نحوها. ووقف إلى جانبها قائلاً: «هل أنتِ بخير؟ اعتقد انه يجب ان ادخلك إلى مطعم الفندق لتتناولي شراباً منعشاً.»

«لا أريد أي شراب! ثم كيف يمكنك ان تفكر بأمر كهذا الآن؟» عند ذلك خامرها شعور غريب ومخيف، فانطلقت

تضحك بألم: «كيف يمكنك ان تفكر بذلك؟ بينما قد تكون ريتا ملقاة جثة هامدة في أي مكان.»

«جثة هامدة؟ ما الذي تقولينه؟» ثم أمسك رسغها قائلاً: «لماذا تعتقدين بأن ريتا قد تكون ميتة؟»

«ربما انتحرت لأجلك! وطبعاً لا يهمك ذلك. ريتا ملقاة ميتة في مكان ما، وأنت تريد ان تتناول شراباً منعشاً!»

وشعرت بأنها وصلت إلى أعلى درجات الغضب والثورة وبأنها لن تستطيع ان تسيطر على نفسها. ثم أخذت تنوح فجأة والدموع تتساقط غزيرة على وجهها.

«اهدئي، اهدئي. أرجوك ان تهدئي، يا لويزا. استطيع ان أؤكد لك بأن شقيقتك ليست ميتة.»

نظرت إليه والدموع ما تزال تنهمر على خديها وهي تقول: «كيف يمكنك ان تؤكد ذلك؟»

«أعرف ذلك، وثقي بكلامي.»

وعادت تنظر إليه وتقول بالحاح: «هل انت متأكد من ذلك؟»

ابتسم لها بلطف قائلاً: «انني أكيد، يا لويزا، فلا داعي لهذا الخوف المسيطر عليك.»

شعرت بقلبها يهدأ ويرتاح، وبأنه لا داعي لخوفها هذا. لكنها، وهي على هذه الحال تناهى إلى سمعها صوت أجش يقول: «هل اقطع عليكما شيئاً؟»

والتفتا إلى مصدر الصوت ليريا ريتا أمامهما.

الفصل الثامن

«حسناً. انك بخير!»

قالت لويزا ذلك عندما استدارت لترى ريتا أمامها وقد شعرت بارتياح وطمأنينة تغمر كيانها، ثم تابعت تقول: «لقد قلقت عليك عندما لم أجدك هنا، وقد انتابتني أشياء وأشياء مقلقة.»

«أهذا صحيح؟ انه لشيء مؤثر فعلاً. ولكن، أرى ان من تحيط بها الاخطار هي أنت.»

ثم أخذت عينا ريتا تنتقل ما بين لويزا وروث الذي كان ما يزال واقفاً إلى جانبها. وتابعت ريتا وشفتاها ترتعشان قهراً: «هذا آخر ما كنت أتوقع ان أراه، فأنت يا شقيقتي الصغيرة لم تضيعي وقتك أبداً.»

«آه، لكن الأمر ليس كما تتوهمين ويظهر لك.»

تقدمت لويزا نحوها وقد تملكها الرعب والذنب تجاه ريتا، ثم تابعت تقول: «لقد شعرت بانهيار كلي عندما لم أعثر عليك... وكان روث يهدىء من مخاوفي، هذا كل ما في الأمر.»

أجابت ريتا بنبرات باردة جداً: «نعم، هذا ما فعله روث بالتأكيد!» ثم اشتعلت وجنتاها غضباً وتابعت تقول وتهدّد: «كيف يمكنك ان تفعلي هذا يا شقيقتي؟ أيتها القذرة والحقيرة!»

كانت لويزا قد استعدّت وتهيأت إلى تصرف سلبي من

ريتا، فعبست في وجهها لتقول بلهجة صادقة ومخلصة: «أرجوك ألاّ تغضبي، وثقي انه ليس هناك ما يدعوك إلى كل تلك الظنون.»

«لا؟ من أين هذه الملابس التي ترتدينها إذاً؟ طبعاً لقد اشتراها لك، أليس كذلك؟ ولقد اشتراها لك مقابل خدمات تؤدينها له!»

أحست لويزا انها جرحت بمشاعرها وكرامتها وقالت: «ريتا، ما تقولينه ليس صحيحاً... ريتا، لقد اسأت فهم الحقيقة، فكوني على ثقة مما أقوله!»

لكن الغضب أعمى بصيرة ريتا ولم تصغِ إلى شقيقتها التي كانت تقول الحقيقة، وهجمت عليها تشدّ شعرها وتغرس أظافرها في وجهها وكأنها تحولت إلى نمر مفترس.

عند ذلك، تقدم روث ليفصل بينهما، ثم قال بعد ان ابعدهما عن بعضهما: «هذا يكفي، دعونا نعود إلى الفندق، ولنتناول المرطبات المنعشة، ثم نتناقش بطريقة أكثر تفهماً، فأنا لا أريد ان أكون شريكاً في أي شجار وفي مكان عام.»

وتمتمت ريتا بغضب: «بالطبع لا.» وشعرت حين أمسك بها روث ليبقيها بعيدة عن لويزا، بهدوء وراحة نفسية، مع ان شيئاً في نفسها انبأها بنذير شؤم سينصب عليها.

نظرت ريتا إليه قائلة وقد غمرها الشقاء والتعاسة: «يمكنك ان تفعل ما تشاء، لكن بالنسبة إلي، فانني أشعر بالتعب وسأذهب لأنام. لأن مزاجي لا يسمح لي بأن أشارك

بأي حديث من أحاديثك، خصوصاً بعد الذي سمعته من شقيقتك من كلام جارح لم استطع هضمه لغاية الآن.»

تساءلت لويزا قائلة بدهشة: «شقيقته؟» ثم نظرت إلى روث مقطبة الجبين.

ابتسم ابتسامة فاترة وقال: «انها صاحبة الشعر الأحمر، اتذكرينها؟»

أجابت لويزا بغباء وكأنها لا تصدق ما تسمعه أذناها: «تعني انها فعلاً شقيقتك؟»

وشعرت فجأة براحة نفسية وهو يشير لها برأسه ايجاباً، ولكنها سرعان ما اشاحت بنظراتها عنه وقد تساءلت في نفسها ان كان هذا مهم بالنسبة إليها أم لا.

كانت ريتا خلال ذلك تخفض بنظراتها إلى الأرض وقالت بنبرة تعيسة: «دعني، يا روث. فأنا أشعر بالتعب وأريد ان أنام.»

أجابها روث: «حسناً، كما تريدين. لكنني سأعود في صباح الغد لنناقش موضوعنا الصغير، فأنا لم اقطع تلك المسافة من أجل لا شيء.»

جاءت نبرة ريتا معادية وهي تقول: «افعل ما يطيب لك، هذا ما كنت تفعله دائماً، أليس كذلك؟»

وأحست وهي تبتعد عنه انها خائرة القوى ومسلوبة الارادة، ثم مشت بتثاقل نحو مدخل الفندق دون ان تلقي نظرة إلى شقيقتها.

همّت لويزا بالاسراع وراءها قائلة: «مهلاً، سآتي معك، لأرافقك إلى غرفتك و...»

نظرت ريتا اليها بحقد قائلة: «لا تتعبي نفسك، في

استطاعتي معرفة طريقي إلى غرفتي، ولست في حاجة إلى مساعدتك.»

ارتجفت لويزا من نظرات شقيقتها الحاقدة ثم قالت: «أرجوك، يا ريتا. انني اريد فقط ان أتأكد من وصولك بالسلامة.»

أجابت ريتا بازدراء: «لماذا، هل تخافين ان أقوم بعمل غبي أؤذي به نفسي، يا شقيقتي الصغيرة؟ وعندها قد يطالك هذا الشيء فيقول الناس ان هذا ناجم عن خطأ صدر عنك.»

«لكن، ريتا...»

حاولت ريتا ان تبتعد مرة أخرى، ثم توقفت وقالت لها بتوتر: قائلة «دعيني من فضلك! وعودي إلى صديقك لتكملا ما قطعته عليكما!»

شعرت لويزا انها قد قُطعت إلى قسمين، بينما اسرعت ريتا نحو مدخل الفندق.

ولكنها عادت تسرع خلفها تناديها: «ريتا، ارجوك... يهمني أمرك يا شقيقتي.»

«لا تضيعي وقتك.»

كان روث سائراً وراءهما، فالتفتت لويزا نحوه حين قال فجأة: «انسِ الأمر، يا لويزا، ودعيها تذهب. اننا جميعنا في حاجة إلى نوم عميق كي نتمكن من انهاء هذه المهزلة في الصباح.»

نظرت إليه لويزا وهي تتعجب كيف يمكنه ان يسمي هذه المأساة بالمهزلة، ويظهر انه لا يهتم لأمر كهذا ولا يؤثر أبداً بمشاعره.

قالت لويزا عند ذلك بغضب: «كيف يمكنك ان تكون خالياً من أية مشاعر؟ وانت الملام الأول في حدوث هذه المأساة منذ البداية! فلو اصاب شقيقتي أي مكروه سيكون ذلك بسببك أنت!»

هزّ كتفيه دون مبالاة قائلاً: «إذا حدث أي مكروه لشقيقتك، يكون ذلك من سوء وقلة ادراكها، فهي امرأة ناضجة وتعي تماماً ما تقوم به.»

أشاحت لويزا وجهها عنه وقد شعرت ان عدم اهتمامه بالأمر يثير الاستغراب والدهشة، وقالت: «كفى! سألحق بها!»

ثم اسرعت تفتح باب الفندق وتتوجه رأساً إلى المصعد. ووصلت إلى غرفة ريتا في اللحظة التي كانت تدخل إليها، واقفلت الباب في وجه شقيقتها.

أخذت لويزا تتمشى جيئة وذهاباً في غرفتها دون ان تعرف للنوم سبيلاً.

وكانت تخرج من وقت لآخر إلى الشرفة لتنظر إلى الشاطىء الذي لا يضيئه سوى نور القمر، وقد شعرت بأن رأسها سينفجر في أية لحظة.

ثم أخذت تستعيد في ذاكرتها الاحداث التي حصلت في هذا اليوم، وكيف انتهى مساء على تلك الصورة الغامضة والمبهمة مما زادت في المشكلة لخبطة وتعقيداً أكثر من قبل! ولم تعد تلك المأساة محصورة بين روث وريتا، انما اضيف عليها كارثة أخرى، فريتا تظن ان هناك علاقة ما بينها وبين روث.

لقد اصبح الأمر برمته وكأنه من عمل شخص شرير،

وكأنما اضاف عليه الآن أخطاراً جسيمة لم تكن في الحسبان!

اعتقدت لويزا وهي تقف على الشرفة، ان كل ذلك حدث بسببها وحدها. فلولا انها لم تفقد اعصابها وتثور ثائرتها عندما لم تجد شقيقتها، لما تدخل روث ليطيب خاطرها ويهدىء من انفعالها، وكذلك لما كانت رأتهما ريتا.

رجعت بذاكرتها إلى ما بعد ظهر هذا اليوم وإلى الحالة التي كانت تعاني منها من الحيرة والقلق، وعذرت نفسها، لأنها يهمها أمر شقيقتها... ولكنها لم تعذر نفسها على انفعالها الشديد الذي أوصلها إلى نتيجة زادت في الأمر تعقيداً.

ولذلك تفسير واضح تعرفه لويزا حق المعرفة وقد بدأ منذ ان وقع نظرها على روث المان.

حدّقت لويزا بالقمر واعترفت بينها وبين نفسها، ان انفعالها الشديد سببه انها كانت تضع نفسها مكان ريتا وتحاول ان تتصور لو انها هي صديقة لروث.

إذاً، ما تعاني منه هو شعورها بالحب والعاطفة وقد امتلكا قلبها بطريقة لم تألفها من قبل. لكن هذا الحب الذي يغمرها يقابله رفض مخيف سيتفتت في نفسها ويجعل قلبها كسيراً وحزيناً.

ثم تذكرت ريتا بأسي وبالذي سيواجهها به روث، لتجد نفسها بأنها هي أيضاً ستكون الضحية. وهذا ما جعلها تشعر بأنها سوف تجنّ جنوناً أكيداً، مثلها مثل شقيقتها.

اكتشفت بعد ذلك، انه مع ما ظهر على ريتا من اضطراب، فهي ابعد من ان تنهار ويصيبها الألم لهجر روث لها. وما

اظهرته كان غضباً وثورة عليه وقلبها كان يفيض كرهاً له لا ألماً منه.

تنهدت لويزا بارتياح وقد وصلت إلى هذا الحد بتفكيرها، لتنزع عنها القلق واللوعة من جراء هذا الأمر، فمن الأفضل ان تشعر ريتا بالغضب من ان تشعر بالجرح الذي قد يؤدي بها إلى الانتحار.

فالغضب وعندما يقلعه المرء من صدره بثورة وانفعال، قد يكون فألاً حسناً عليه، مع ان تلك الثورة التي أثارتها ريتا، كانت بعضاً منها قد طالتها شخصياً.

عادت تتنهد وتذكر نفسها بأنها ستوضح الأمر لشقيقتها بصراحة وصدق في صباح اليوم التالي! وستؤكد لها، انه ما من شيء يدور بينها وبين روث!

ابتعدت لويزا عن الشرفة لتدخل إلى غرفتها وهي تشعر كأنها نمر قد سجن في قفص. ثم نظرت إلى ساعة يدها، لترى ان الوقت ما زال يشير إلى العاشرة، وقرّرت ان تتنزه على طول الشاطىء، فهذا قد يبعد بعض الهواجس عن رأسها وقلبها.

حملت مفتاح غرفتها وخرجت بسرعة إلى الطابق الأسفل ومنه إلى الحدائق الخضراء التي تؤدي إلى الشاطىء.

نزعت الصندل من قدميها ومشت عارية القدمين فوق الرمل الناعم وهي تتنفس بعمق، وشعرت بعد ذلك بأنها أفضل حالاً من قبل.

سمعت عند ذلك وبعد ان مشت بضعة أمتار، صوتاً آتياً من ورائها مما جعلها تتوتر في داخلها.

«أتمانعين في مشاركتي لك في هذه النزهة؟»

استدارت لويزا بسرعة وشهقت من المفاجأة، لتقول بحدة عندما وجدت روث أمامها: «ما هذا الذي تفعله؟ لقد ادخلت الرعب إلى قلبي.»

«آسف، فأنا لم اقصد ذلك.»

شعرت لويزا وهي تنظر إلى وجهه الوسيم، ان قلبها ينبض بشدة، خاصة وأنه كان يرتدي سروالاً أبيض غير رسمي ومن فوقه قميصاً زرقاء اللون وقد طوى كميّها إلى مرفقيه.

ثم كرر سؤاله مرة ثانية وقال: «إذاً، هل تمانعين لو شاركتك هذه النزهة؟ لأنني اعتقد بأنه ينبغي علينا ان نتحدث قليلاً.»

نظرت إليه شذراً وقالت: «تريد التحدث؟»

بدا شعره الاسود داكن جداً تحت ضوء القمر الفضي، وعيناه عميقتان وهما تنظران إليها، فشعرت لتوها بانها مشلولة الارادة من تأثير تلك النظرات العميقة التي سلّطها عليها.

فأبعدت هذه الأفكار عنها قائلة: «لا اعتقد انني قد استحسن الكلام الآن، لقد خرجت كي أتنزه وأريح اعصابي المتعبة، ولا اعتقد ان ما ستقوله سيريحني في هذا المجال.»

قال روث عند ذلك دون مبالاة: «حسناً، وكما تشائين. وفي هذه الحالة، سأشاركك في نزهتك الهادئة هذه ولن أتكلم.»

وهذا أيضاً لم تكن تريده، لكنها لم تمانعه في ذلك، بل قالت له: «افعل ما يناسبك.»

مشى روث وراءها بخفة، ولكنها شعرت باحساسها

المرهف بوقع خطواته حتى فوق تلك الرمال الناعمة. وسألته فجأة: «كيف عرفت بمكاني؟ وما الذي تفعله هنا في كل الأحوال؟ فمن المفروض ان تكون الآن في الفندق الذي تنزل فيه وليس في هذا المكان.»

اقترب ليمشي إلى جانبها وعندها لم تعد تشعر بالذي حولها، لا بالقمر ولا بالشاطىء ولا حتى بالرمال الناعمة التي تدوس عليها بقدميها العاريتين.

وقال لها: «عدت لأطمئن ان كنت بخير... ولأنني كنت آمل ان اتحين الفرص لأتحدث معك... ولم اتصل بغرفتك مخافة ان تكوني مسترسلة في النوم العميق، وأيضاً كنت آمل ان اجدك في مطعم الفندق أو في ردهة الاستقبال، وعندما خاب أملي وكنت على وشك الرحيل... رأيتك تتوجهين إلى هذا الشاطىء عبر تلك الحدائق.»

فكرت انها لم تحسن التوقيت عندما تركت غرفتها، لكنها لم تخبره شيئاً من هذا، بل قالت: «آه، فهمت.» ولكنها مع ذلك، كانت تشعر بسعادة لأنه وجدها.

تذكرت انه أراد التحدث معها، وشعرت فجأة بفضول لمعرفة ماذا يريد ان يقول لها، مع انها فكرت في عدم سؤاله عمّا كان يريده منها خوفاً من سماع كلام لا يعجبها.

مشيا في صمت بينما كانت لويزا تلقي بنظراتها على الرمال، ولاحظت ان تتابع خطواتهما منسجمة تماماً كتلك الأوقات السابقة التي كانا فيها منسجمين ويتردّد صداها في نفس كل منهما.

فجأة، وكما كان يحصل لها في كل مرة، أبعدت تلك الأفكار عن رأسها.

تمهلت في مشيتها ليسبقها ببضع خطوات وكأنما بذلك تريد ان تقطع ذلك الانسجام الذي كان بينهما منذ لحظات. ثم قالت: «آمل ان تفعل كما سأفعل أنا، وهو ان تؤكد لريتا بأنها كانت مخطئة بما اعتقدته بأمري وامرك، ولا أحد يعلم من أين جاءتها هذه الفكرة من الأساس؟»

ابتسم روث موافقاً: «بالفعل وكما قلت.»

التفتت إليه لتقول بحدة: «ماذا تعني؟»

قال مبتسماً: «اعني بأنني لن استطيع الموافقة معك بأي شيء بعد الآن.»

ونظر إليها وهو يبتسم، تابع مبتسماً لها، فابعدت نظراتها عنه وتذكرت تلك اللحظات التي جمعتهما قبل ان تفاجئهما ريتا وكيف كان يطيب خاطرها بلطف ومحبة. ثم ابعدت تلك الأفكار عن رأسها كعادتها لتذكر نفسها انها لم تقطع كل تلك المسافات لأجل لحظات مثل هذه، بل كان همها الأول ريتا وعائلتها.

ركزت تفكيرها الآن على ريتا وقضيتها وسألته وهي تنظر إليه بحدة: «لماذا جئت لرؤية ريتا؟ وقد كنت وضعت حداً لصداقتكما قبل ذلك. وهل جئت لتتصرف معها بخشونة؟»

توقف روث عن التقدم، وكأنه نفد صبره من هذه الأسئلة التي لا مبرر لها. ولم تدرك ذلك إلا بعد لحظات وجيزة، فتوقفت هي الأخرى والتفتت نحوه لتتهمه باتهام مباشر: «ماذا هناك؟ هل أنا اقتربت من الحقيقة؟»

«انك بعيدة كل البعد عنها.»

«تعني انك اردت التصرف معها بلطف وتفهم وليس بخشونة؟»

أخذ نفساً عميقاً ثم قال بنبرة باردة: «لم يكن هناك صداقة تربطني بها.»

ضحكت عالياً ثم قالت: «لم تكن هناك صداقة بينكما! وهل هذه مزحة أم ماذا؟»

كرّر قوله بثبات وعزم: «قلت لك لم يكن بيني وبينها أية صداقة. فإذا منحتني الفرصة واستمعت إليّ، فسأقول لك الحقيقة كاملة.»

قرأت لويزا على ملامح وجهه الجدّ والصدق اللذين جذبا انتباهها لتصغي إلى كلامه، ونظرت إليه بصمت وهو يتابع كلامه بكل صراحة: «كانت شقيقتك تلاحقني منذ بضعة أشهر، وقد بدأ هذا عندما تورطت مع زوجها بمفاوضات واجتماعات لأشتري منه الشركة. تناولنا ثلاثتنا طعام العشاء في أفخم المطاعم لمرتين، ودعيت وبمناسبات عديدة إلى منزلهما.»

ثم ابتسم ابتسامة عريضة ليتابع كلامه: «واتضح لي بعد ذلك ان شقيقتك تطمع بصداقتي، وقمت بالمستحيل لأبعدها عني قبل ان يلاحظ زوجها ذلك. لكنها تابعت ملاحقتي وبعناد منها، وباتصالات هاتفية ورسائل لا تحصى ولا تعد، عدا تلك الزيارات إلى الفندق الذي كنت أنزل فيه. لكنه لم يحصل شيء بيننا، ودعيني أصارحك، انها ليست من النساء اللواتي أرغب في التعرف إليهن.»

توقف قليلاً وقد اكفهر وجهه ثم تابع قائلاً: «ولكن وبالرغم من صدي لها وعدم تشجيعي لمحاولاتها معي، تابعت تلاحقني طوال فترة اقامتي في يوركشاير. واعتقدت ان ذلك سيتوقف عندما اسافر إلى البهاماس،

ولكنني كنت مخطئاً في تقديري ولحقت بي إلى هنا و...»

كانت لويزا طوال الوقت تنظر إليه بدهشة وقد عقد لسانها تصريحه. وتصوّر لها انه يجب ان تعارض اقواله بالدفاع عن شقيقتها، لكنه بدا صادقاً بروايته التي سقطت عليها كحد السيف.

وكل الذي استطاعت ان تقوله له هو هذا السؤال: «لماذا لم تخبرني بذلك قبل الآن؟»

«وهل كنت ستصدقينني؟»

«لا، لما كنت صدقتك.» ولكنها تعجبت من نفسها، لماذا صدقته الآن.

تقدم منها ثم قال بكل ثقة: «إذا كنت في حاجة لتتأكدي من اقوالي، فلدي مجموعة من الرسائل التي ارسلتها إلي في البداية. قرّرت ان احرقها وأتخلص منها، لأن ما جاء فيها سخيف وجنوني، لكنني غيرت رأيي عندما تلقيت تهديداتها إلي.»

توقف قليلاً ليلتقط انفاسه ثم تابع: «وتعرفين بعد ذلك ما حدث.»

كانت الدهشة ما زالت تسيطر على لويزا وتعقد لسانها، لكنها قالت بعد ذلك وقد تنبهت إلى ما قاله أخيراً: «تعني قصة الكتاب ونشره؟ والقصص التي ستنشرها للرأي العام عنك؟ هل تعني انها كانت ترسل لك رسائل ملؤها التهديد والوعيد؟»

«عمل غبي منها، أليس كذلك؟ وهذا ما يفعله المرء عندما يشعر بالانهزام وبفقدان آخر خيط للأمل في أمر ما. اعتقد انك لا تعرفين شيئاً عن تلك الرسائل؟»

أجابت لويزا وهي تشعر بصدمة قوية: «لا، ومن أين لي ان أعرف بأمرها... انما، هل انك فعلاً تعني انه لم يكن بينكما أية صداقة؟ وان كل ذلك لم يكن سوى اختلاق من شقيقتي؟ وبأنها هجرت زوجها وأولادها لسبب غير حقيقي؟»

«لعلماء النفس رموز ومصطلحات لتصرفها هذا، وقد يسمونه، تملّك المرء لفكرة وهمية، أو تعلّق وولع بشيء غير واقعي وإلى ما هنالك من أسماء. وكانت بالفعل تقنع نفسها بأن ذلك حقيقي. ثم تحوّل كل ما كانت تشعره تجاهي من مودة أوهمها لها عقلها، إلى كره وحقد لأنني رفضتها ورفضت صداقتها. ومنذ مجيئها إلى البهاماس، حوّلت حياتي إلى جحيم وإلى كابوس مزعج لا أستطيع ان اصحو منه.»

جلست لويزا على الرمال وقد شعرت ان الأمور قد انقلبت رأساً على عقب، فالضحية اصبح الشرير والشرير اصبح الضحية. وأخذ قلبها يميل أكثر إلى روث وهي تفكر كم عانى من المتاعب طوال الوقت.

نظرت إلى وجهه وقالت بنبرة هادئة: «لماذا لم تخبر الشرطة بأمرها أو... على الأقل زوجها؟»

تنهد وقال وهو يجلس إلى جانبها فوق الرمال: «كنت على وشك ان افعل الاثنين معاً. لكنني احجمت عن ذلك خوفاً من أسبب لها أية مشاكل أو اسعى إلى طلاقها من زوجها. لكنني ومع ذلك، أشعر وفي صميم قلبي انها امرأة شريفة، فقد رأيتها كيف تعامل ولديها وفهمت انها والدة صالحة. وآمل ان تصحو من ذلك الهاجس قريباً،

وتعود إلى يوركشاير حيث زوجها وولديها بانتظارها.»

«ان ما قاسيت منه لهائل ومزعج!» قالت لويزا ذلك وقد غمرتها عاطفة تجاهه، ثم نظرت إليه لتتابع برقة وحنان: «لا اعتقد ان احدهم يمكنه ان يصبر هذا الصبر الذي تحملته أنت.»

«لا أدري ان كانت كلمة الصبر تكفي لتصف ما عانيت ومريت به. فقد كاد الأمر ان يصل بي أحياناً إلى ارتكاب جريمة ما، ولهذا السبب تدخلت شقيقتي، عندما تسلّلت ريتا إلى الحفلة دون دعوة مني، وقد خافت ان اقوم بعمل قد نندم عليه جميعاً!»

إذاً، ان التي شاهدتها في الحفلة كانت ريتا نفسها! ومن الواضح وعندما لم يقع نظرها عليها مرة أخرى، انه لم يسمح لها بالبقاء أكثر في تلك الحفلة!

عادت لويزا تنظر في وجه روث الذي تجرّد الآن من قناعاته وبدا مخلوقاً مهتماً وفي نظراته عطف وحنو.

فكم من الرجال الذين لو كانوا مرّوا بمثل ما عاناه، لما تراجعوا حالاً عن تقديم أية شكوى ضد امرأة مهووسة تلاحقهم من مكان إلى آخر؟ هذا ما فكرت لويزا به، ووجدت انه من المستحيل ان يصادف المرء رجلاً شهماً مثله، حتى ولا واحد في المليون.

وغمرها شعور بالندم وبأنها أساءت الظن بهذا الرجل الكريم الأخلاق.

وتابع يقول قاطعاً عليها حبل افكارها: «شقيقتي أنيتا، جاءت إلى هذه الجزيرة لتحاول ان تكلمها بلغة المنطق

وخاصة انها امرأة مثلها. لكنها لم تنجح في هذه المهمة... ولهذا السبب قرّرت ان اجيء أنا الآخر وأحاول معها مرة أخرى. وها قد عرفت الآن، السبب الذي دفعني لآتي إلى جزيرة آزورا.»

«يا لها من قصة غريبة.» قالت لويزا ذلك وهي تهزّ رأسها بانفعال. ثم تابعت بجدية: «لكن فصول هذه القصة انتهت الآن، فلا تتعب نفسك بالتورط فيها أكثر. لأنني سأوقفها عند حدّها غداً صباحاً، وسأكلمها بجدية وعقلانية، ومن ثم سأرافقها بنفسي في أول طائرة تقلع إلى بريطانيا.»

«هل فعلاً ستقومين بذلك؟ يبدو لي وكأنك بدّلت من مشاريعك.»

«لقد كنت بدّلت من مشاريعي منذ فترة طويلة، لو انني عرفت فقط بالذي كان يجري ويدور! فلماذا لم تخبرني بهذه الأمور منذ البداية؟»

«لأنك كنت عدوّة بالنسبة إلي في البداية، والانسان لا يثق عادة بالعدو.»

نظرت لويزا إليه بتساؤل ثم قالت: «لماذا كنت أنا العدوّة؟» ثم تساءلت في نفسها انه كيف يمكنها ان تكون تلك العدوّة، وقد أحبته منذ النظرة الأولى؟

فقال لها بلطف: «لقد كنت العدوّة، لأنك كنت ضدي.»

نعم لقد كانت ضدّه، وبدا هذا الأمر مستحيلاً الآن، خصوصاً بعد ما انجلت أمامها الحقيقة وكشفت الجزء الغامض من القصة.

«هل ستستمرين على موقفك العدائي تجاهي الآن؟ آه، لا... أنا لا أريد ان أكون عدوّاً لك...»

فقالت له: «يبدو لي الأمر سخيفاً الآن... اعني ان اتابع بعدائي لك.»

نظر إليها نظرات عميقة ثم قال: «فعلاً، انه شيء سخيف ومحزن في نفس الوقت. أتمنى لو كان ممكناً ان لا نتخاصم في يوم من الأيام.»

ونظرت لويزا وهي تشعر بالسعادة والفرح يغمرانها، واعترفت بينها وبين نفسها بأنها تحبه أكثر من أي شيء آخر في حياتها.

فهمس روث لها: «يا لعدوّتي الفاتنة!»

ثم وقف فجأة على قدميه وساعدها على النهوض لتقف إلى جانبه، ثم انحنى ليلتقط لها الصندل ومفتاح غرفتها في الفندق من فوق الرمال وناولها إياها قائلاً: «سأعيدك إلى الفندق الآن.»

«لكن لماذا؟»

لم تستطع ان تمنع نفسها عن طرح هذا السؤال. وعندما لم يجب، كرّرت سؤالها وهي لا تبعد نظراتها عن وجهه: «لماذا؟»

قست ملامح وجهه وهو يردّ عليها قائلاً: «لأنك كنت مرة عدوّة لي. وهذا غير ممكن لنا أن نغيره.»

لحقت به في البداية وكأنما فقدت كل شعور واحساس، ولم تحاول حتى ان تفهم ما كان يقصده من قوله ذلك. لكنها ومع اقترابها من باب الفندق، ادركت فجأة معنى كلامه وبوضوح تام.

فهو ما زال يعتقد بأنها خدعته عندما تصرفت معه على نحو عدائي، ولم تفصح له حتى الآن، ان ذلك كان كذبة مثل الأكاذيب الأخرى التي كذبتها عليه!

وعندما وصلا إلى باب الفندق، وهو يهمّ بالابتعاد عنها، أوقفته قائلة: «روث، انتظر لحظة. فهناك أمر يجب ان اطلعك عليه.»

أحسّت بالدم يتجمد في عروقها عندما التفت إليها بوجه مكفهر وحالك وفي عينيه غضب شديد.

«الشيء الوحيد الذي أرغب في أن اسمعه منك، بأنك كنت تعنين فعلاً ما قلت. ان تكلمي شقيقتك وان تجبريها على العودة إلى بريطانيا في أول رحلة إلى هناك. بصراحة، لقد نفد صبري منكما، ولا يمكنني ان اتحمل هذه المهزلة، أكثر من ذلك. لذا، ان بقيتما هنا في جزيرة آزورا حتى مساء الغد، فسوف أبلغ السلطات المختصة بأمركما!»

أحسّت لويزا بكلماته القاسية كضرب السوط عليها، وارتجفت وهي حائرة من أمرها.

ثم قالت له بصوت ضعيف: «ثق بي. لقد كنت أعني كل كلمة قلتها لك، وسنرحل كلتانا عن هذه الجزيرة قبل مساء غد إذا ساعدنا الحظ.»

ثم نظرت إليه بيأس وهو يبتعد عنها بخطواته الواسعة ويختفي في الظلام وقد تركها واقفة بذهول كمن اصابتها صاعقة.

الفصل التاسع

«هل ستغفرين لي كل الذي اخطأته في حقك؟»

هذا ما سألته ريتا عندما اصبحت مع لويزا في الطائرة التي ستقلهما إلى بريطانيا، بينما كانت تنهمر دموع الندم من عينيها. فعندما كانتا في جزيرة آزورا، ألقت لويزا على شقيقتها محاضرة حازمة تخللها اللطف والطيبة على اخطائها المتهورة في حق زوجها وولديها... وفي تلك الاثناء، كانت ريتا تلوذ بالصمت العميق، وعندما انتهت لويزا من محاضرتها، نظرت شقيقتها إليها وقالت باختصار: «سأعود معك إلى بريطانيا.»

تنهدت عندئذ لويزا بارتياح، لأنها كانت تتوقع مشادة كلامية بينها وبين ريتا، ولم تنتظر منها ان تتقبل الأمر وتوافق عليه بتلك البساطة، فهي لا ينقصها عذاب غير العذاب من الفراق الذي تمّ بينها وبين روث.

وهكذا انصاعت ريتا لكلام لويزا دون تردّد ودون معارضة، وانتقلتا من آزورا عند الظهيرة إلى ناسو، وذهبت لويزا إلى الفندق لتستعيد امتعتها وحقائبها التي أودعتها كأمانة فيه.

شعرت بارتياح عندما رجعت وارتدت ملابسها القديمة، شاعرة بارتياح لأنها عادت إلى طبيعتها وكذلك إلى واجباتها الحياتية.

ما تملكها من شعور وحب وعاطفة لروث، لم يكن سوى وهماً وسراباً.

لفت بعناية الفستان الجميل والأنيق الذي كانت ترتديه بورق شفاف وسلمته إلى استعلامات الفندق قائلة: «ارجوك ان تقدم هذا الفستان إلى أية جمعية خيرية.»

وفوق ذلك، كانت تشعر في اعماق قلبها بألم شديد لن يكتب لها في يوم من الأيام ان تشفى وتبرأ منه. فلا شك انها ستشتاق لروث، وسوف تمضي العمر وهي تقارن كل رجل تصادفه به، ولن يكون لأحد منهم أية مكانة في قلبها.

وحاولت لويزا ان تبعد روث عن تفكيرها، فهي بالكاد تعرفه، لكنها سرعان ما تبدّل وتغيّر افكارها، انه وبهذا الوقت القصير، استطاع ان يقلب حياتها رأساً على عقب وان يوقظ قلبها الساكن، وقد غيّر من مشاعرها وجعلها انسانة شقية باسم الحب.

شقية... ركزت لويزا بأفكارها على هذه الكلمة، فهذه الكلمة تعني بأن حبها بلا أمل ولا هدف، وعليها ان تعمل بعقلانية أكثر وتحاول جهدها على ان تنسى كل ما كان بينها وبين روث في تلك الأيام القليلة التي جمعتها.

التفتت نحو ريتا التي كانت تجلس إلى جانبها في الطائرة، وفكرت، كم ان الأمر غريب، لقد تواجدتا على نفس اليخت واحبتا الرجل نفسه. لكن هذا الرجل لن تستطيع احداهما ان تحظى به، وشعرت فجأة بعاطفة وحنو نحو شقيقتها أكثر من أي وقت مضى.

بينما كانت الطائرة تحلّق في السماء، التفتت ريتا إلى شقيقتها وهي تضع يدها على ذراعها قائلة: «لويزا، أنا

آسفة. انني فعلاً اشعر بخجل من الذي بدر مني ولا أعرف ما الذي دهاني، لقد تصرفت كامرأة فقدت عقلها.»

نظرت لويزا إليها بوجه شاحب وقالت: «نعم، لقد كان عملك عملاً طائشاً. ولكن الأمر قد انتهى الآن، وآمل ان لا تعذبي نفسك أكثر.»

«كيف لا أعذب نفسي؟ فتصرفي كان مشيناً ومخزياً. وكلما فكرت بذلك أتمنى الموت لنفسي!» ثم أخذت الدموع تنهمر بغزارة على وجهها.

أمسكت لويزا بيدها مؤاسية، بينما أخذت ريتا تحكي كل ما كان لها مع روث، من الألف إلى الياء... تماماً مثل الذي قاله روث الليلة الفائتة.

وتابعت ريتا قائلة: «كان ذلك هوساً مني لم استطع السيطرة عليه. لم يكن ذلك بدافع الحب، بل كان بدافع الجنون. هل يمكنك ان تتصوري رجلاً مثل روث قد يهتم بملاحقة امرأة مثلي؟»

وقبل ان تتمكن لويزا من الاجابة، اسرعت ريتا تتابع: «انك أكثر تلاؤماً مني له، أنا اعني ما أقوله، وهذا ما فكرت فيه عندما رأيتكما معاً الليلة الفائتة... فهل هناك أية صداقة بينكما؟»

شعرت لويزا بالألم يوخز قلبها، وحاولت ان لا ينعكس سؤالها على ملامح وجهها، ثم قالت: «بالطبع لا. على أية حال، لقد سبق وقلت لك ما يعتقده بي! فهو يعتقد بأنني تلك الصحافية المخيفة التي هدّدته بها سابقاً!»

ظهر على وجه ريتا الأسف والخجل وهي تقول: «أنا آسفة لهذا الخبر. فلم يكن في نيتي ان احشرك بهذا الوضع،

وانني ممتنة لك كثيراً، يا لويزا، وقد سبّبت لك كل هذه المشقة والقهر للعثور علي، في الوقت الذي كنت فيه في حالة لا تسمح لي بالتفكير بموضوعية أكثر.»

«هذا لا يهم الآن، فالأهم هو انك قد رجعت إلى زوجك وولديك وإلى حياتك السابقة، والتي هي مكان وجودك الأصلي والدائم.»

شعّت ابتسامة على وجه ريتا وهي تقول: «نعم، أليس هذا أمر عظيم؟ فأنا لم اصدق انني عندما اتصلت بآلان هذا الصباح وقال لي انه سامحني على كل ما بدر مني وانه يريدني ان أعود إليه بسرعة... انني احبه ولن اتحمل خسارته وخسارة الولدين.»

وعادت الدموع لتنهمر غزيرة من مقلتيها، فابتسمت لويزا لها مشجعة ثم قالت: «لقد انتهى كل شيء الآن. ومن الأجدر بك ان تحتفلي بهذا الحدث، لا ان تنوحي... ما رأيك لو نتناول شراباً منعشاً الآن؟»

جاءت المضيفة إليهما بالشراب المنعش، فاحتفلا بتلك النهاية السعيدة، بينما كان قلب لويزا يمتلىء بالألم واليأس اللذين لا أمل لها بالشفاء منهما.

فكرت لويزا بالمستقبل القاتم الذي ينتظرها وروث بعيداً عنها، وكيف سيتسنى لها نسيان الماضي الذي سيلازمها ليلاً نهاراً؟

«ميري لغز، تعال إلى هنا وتوقف عن النباح!»

ضحكت لويزا وهي تنادي على الكلب الصغير الذي كان يجري بمرح في الحديقة. ثم تابعت تقول: «توقف عن النباح، فلا احد هناك، تعال واجلس إلى جانبي.»

اسرع الكلب إليها طائعاً وجلس حيث أشارت له وأخذت لويزا تداعب اذنيه قائلة: «هذا أفضل... يجب ان تتعلم ان تنبح فقط عندما تشاهد انساناً غريباً.»

ثم ابتسمت ساخرة من نفسها، لأنها تمضي ايامها بالتحدث إلى كلب!

لقد مضى على عودة لويزا من البهاماس، أربعة أسابيع، وكانت تشعر بها وهي في حالتها التعيسة وكأنها أربع سنوات. فالأسبوع الذي قضته مع روث لا تبرح حوادثه أفكارها، بالرغم من محاولاتها المتكرّرة التي باءت بالفشل، وقد وافقت على السكن في هذا المنزل مؤقتاً للانتباه والاعتناء بالكلب في اثناء سفر وغياب اصدقاء لها، ظناً منها ان ذلك سيساعدها على نسيان روث والأيام التي أمضتها معه.

لديها أيضاً أعمال أخرى تلهيها وتبعد عنها الهواجس، فقد طُلب منها ان تكتب بعض المواضيع الهامة ليتم نشرها. هذا بالاضافة، إلى كتابها الذي لم تنته منه بعد. وكانت تقوم بعملها هذا في الحديقة التابعة لهذا المنزل واحرزت تقدماً ملموساً به. لذا قررت ان تستريح قليلاً لترشف القهوة قبل ان تتابع عملها.

عاد الكلب ينبح من جديد، بينما كانت مسترخية على احد الكراسي وهي ترشف القهوة على مهل.

ربتت لويزا على رأس الكلب تهدئه، وتذكرت انه قد مضى على وجودها في هذا المنزل ثلاثة أسابيع، وبعد أيام قليلة ستعود إلى لندن لتلتحق بأعمالها الصحافية التي من المؤكد ستجبرها وستساعدها في الوقت نفسه على

التوقف عن التفكير بروث وستعيد إلى نفسها الاستقرار والسلام.

لقد بكت وانتحبت كثيراً وأمضت الليالي الطوال ارقة في الاسبوعين الأولين من عودتها من البهاماس... لكنها تشعر الآن انها احسن حالاً، فاقنعت نفسها ان الحياة ستستمر بحلوها ومرها دون روث.

نظرت لويزا إلى ساعة يدها وهي تشعر بوخز مؤلم في قلبها. ثم فكرت ان تعود إلى عملها، انه العلاج الشافي لآلامها النفسية. وتمنت أن يكون لديها القوة والنشاط لكي تنجز واحداً من المواضيع التي كلفت بها.

وقفت ومشت لتعود إلى متابعة عملها، وتحاول في نفس الوقت ان تفرغ ذهنها من افكارها المقلقة.

سمعت فجأة صوتاً استطاعت ان تميّزه بسرعة عن غيره، وقد قال: «انه ليس بكلب حراسة، أليس كذلك؟»

استدارت لويزا بسرعة نحو مصدر الصوت وهي لا تصدق من ترى أمامها، حتى انها كادت ان تسقط فنجان القهوة من يدها.

كان صاحب الصوت روث، الذي مشى نحوها قائلاً: «آسف، لأنني جعلتك تجفلين. لقد رنيت على جرس الباب، ومن المؤكد انك لم تسمعيني. لذا، قررت ان القي نظرة على المكان من الناحية الخلفية.»

«فهمت، أجل، فأنا لم اسمع رنين الجرس.» كانت لويزا تقف في تلك الأثناء بلا حراك، وعيناها لا تصدقان حقيقة ما تراه أمامها.

كان روث يرتدي بذلة زرقاء اللون أنيقة. ومن نظرة

واحدة إليه، استطاعت ان تتنشق هواء بحر البهاماس العليل.

ثم القى نظرة سريعة على الطاولة إلى جانبها حيث توزعت أوراق عملها وقال: «ارجو ان لا أكون قد قطعت عليك عملك. ومع انني اؤكد بأنني فعلت ذلك.»

نظرت لويزا إلى طاولة العمل وكأنها تراها للمرة الأولى وقالت: «انك في الحقيقة لم تقطع علي شيئاً.» وشعرت كأنها في حلم وستستفيق منه حالاً.

ولكن ذلك لم يكن حلماً، ولكنه حقيقة، وقد تابع يقول لها: «ماذا كنت تفعلين؟»

أجابت لويزا بلا مبالاة: «كنت أعمل في الكتاب الذي سينشر قريباً.»

«الكتاب؟»

تمنت ان لا يعتقد بأنها تعمل على كتاب سيرة حياته الشخصية كما اتهمها سابقاً.

فأجابته بلهجة المدافع عن نفسه: «الكتاب الذي اخبرتك عنه سابقاً.»

«آه، نعم. والذي يتضمن أهم المقابلات التي اجريتها في حياتك الصحافية.»

«نعم، هذا صحيح.» عادت تنظر إليه، وقد ابعدت موقفها في الدفاع عن نفسها ليحمل مكانه المنطق والجدية. وتساءلت لماذا يخامرها شعور بالدفاع عن نفسها؟ فهي لم تكن أبداً مذنبة في التهمة التي وجّهها اليها، كما انها لم تفكر يوماً في التدخل بأمور حياته الشخصية.

قالت وقد طرأ على رأسها شيء مفاجيء: «ماذا تفعل

هنا؟ وماذا تريد مني؟ وأهم من كل ذلك، كيف عرفت بمكان وجودي؟»

ابتسم وتقدم نحوها أكثر وهو يقول: «لم يكن ذلك بالأمر السهل أبداً. لقد امضيت سبوعين ونصف الاسبوع في اقتفاء اثرك إلى ان وجدتك هنا.»

نظرت إليه بدهشة قائلة: «اسبوعان ونصف اسبوع؟»

لكن لماذا صرف كل ذلك الوقت بحثاً عنها؟

قال لها وكأنما قرأ ما يجول في رأسها: «لأنني قررت ان اجدك بأي شكل من الأشكال.»

سألته وهي تحاول فهم كلامه: «لكنني لم اعرف بعد ما هو سبب بحثك عني؟»

وأخذت تفكر في أسباب معقولة دفعته إلى ذلك، انها لا تدين له بأي مبلغ من المال، كما انه ليس هناك أية أمور لم ينتهيا من المناقشة بها. ومن المؤكد انه لم يقطع كل تلك المسافات لأجل شيء قد يسرّها ويفرح قلبها، كأنه اشتاق لها ويودّ ان يراها.

بينما كانت تلقي نظراتها بعيداً عنه، سمعته يقول لها: «ألن تدعيني إلى الجلوس؟»

انه على حق، وقد كان عليها ان تدعوه إلى الجلوس قبل الآن، فقالت له: «بالطبع، تفضل واجلس.»

وابتعدت عنه وهي ما زالت تمسك بفنجان القهوة بتوتر شديد. ثم تابعت تقول له: «أترغب بشراب منعش؟ أو ربما شاي أو قهوة؟»

«شكراً جزيلاً لكرمك لي، فأنا لا أمانع بفنجان من القهوة.»

نظرت لويزا إليه وهو يجلس على احد الكراسي التي تحيط بالطاولة، لتكتشف فجأة بأن هناك تغيراً ما فيه، مع ان مظهره الخارجي يدلّ على انه روث نفسه الذي عرفته من قبل، الآمر الناهي، الواثق من نفسه. لكنها شعرت بان هناك أمراً متعباً يجول في رأسه، وكأنه يقلقه ويريد ان يفضي به ليرتاح.

فأسرعت إلى المطبخ وقد أحست بشر مرتقب عن الذي يريد ان يكلمها به. والذي قد يحمل انباء غير سارة بالنسبة إليها، لذلك كان يمضي الوقت بالجلوس منتظراً فنجاناً من القهوة.

اقلق هذا الأمر لويزا كثيراً، فهي تعرف اسلوب روث في الكلام، والذي يدخل رأساً في الموضوع دون لف ولا دوران.

فتحت لويزا خزانة المطبخ وهي مشتتة الافكار وقد نسيت ما جاءت من أجله، بينما في رأسها سؤال واحد، وهو ما الذي جاء لأجله سعياً وراءها؟ وما هي المشكلة الجديدة التي سيلقي بها عليها من جديد؟

ابتعدت عن الخزانة وقد غاب عن بالها ما كانت تنوي ان تقوم به. ثم اشعلت ماكنة القهوة وعادت تطفئها، ثم تذكرت لماذا فتحت الخزانة، لأنها كانت تريد ان تتناول منها علبة البن، وعادت إلى الخزانة لتفتحها من جديد.

«هل يمكنني مساعدتك؟»

قفزت لويزا من مكانها وسقطت منها العلبة وما فيها على أرض المطبخ، وتناثرت حبيبات البن في كل مكان.

قالت عند ذلك بخوف وهي تنظر إلى حالة الفوضى التي

حصلت في المطبخ: «انظر ما فعلته بي! عليّ ان احضر المكنسة حالاً.»

قال لها: «انسي أمر القهوة، فأنا لم آت اليك لأجلها.»

أجابته وهي ترتجف: «نعم، وكما انني واثقة من ذلك.» شعرت، انه مهما كانت الأسباب التي دفعته للمجيء إليها، فهي لا ترغب في ان تسمعه أبداً.

«لقد جئت لأتكلم معك.»

شعرت بالخوف وهي تقول له: «حسناً، كما وانني لا أرغب في الاصغاء إليك!»

«يجب ان تصغي وتنتبهي إلى كل كلمة أقولها.»

«لا أريد ان اسمع أية كلمة منك!»

أخذ نفساً عميقاً، ثم نظر في عينيها قائلاً: «انني هنا لأطلب منك ان تسامحيني.»

«اسامحك؟» لم تصدق لويزا ما سمعته ونظرت إليه بتساؤل ملح.

فتابع قائلاً: «لقد اتهمتك بأنك عدوّة لي، وقد سافرت إلى البهاماس للتجسس علي... لقد كنت مخطئاً في ظنوني وادين لك باعتذار.»

اتكأت لويزا على خزانة المطبخ وقد شعرت بأن قدميها لم تعودا تقويان على حملها. ثم قالت: «إذاً، ما الذي جعلك تصدق ذلك وتؤكده؟»

«رجاحة عقلي وتفكيري. وقد فكرت بذلك بعدما غادرت البهاماس، واكتشفت انني اخطأت بحقك، وبأنك من المستحيل ان تكوني كما اتهمتك...»

كان يظهر من بريق عينيه حنين دافىء اطمأن له قلبها،

لكن ومع ذلك، لازمها شك وحذر منه، فقالت له: «وما الذي أخّرك إلى هذا الوقت؟ ألم يكن في امكانك ان تدرك الحقيقة منذ البداية؟»

ضاقت عيناه قائلاً: «يا ليتني فعلت ذلك، ولقد سألت نفسي مراراً لماذا اتهمتك بهذا الاتهام الكاذب... لكن لماذا لم تساعديني وتنكريه...»

قاطعت كلامه بحنق وقوة: «تقول انني لم انكره؟ وأنا التي انكرته ورفضته منذ البداية! كيف يمكنك ان تقول انني لم انكر ذلك؟»

«انك على حق، لقد انكرت كلامك، لأنني كنت في حالة كادت أن تدفعني إلى الجنون من سوء تصرفات شقيقتك المتهورة... لكن، أرى الآن انه ليس من داعٍ للعودة إلى الحديث عمّا كان وجرى...»

توقف عن كلامه للحظة ثم تابع: «الذي أريد ان أقوله، انك لم تنكري ذاك الاتهام الذي وجهته إليك في تلك الليلة الأخيرة على الشاطىء، هل تتذكرينه؟»

تتذكره جيداً، وكيف يمكن لها ان تنساه! فطأطأت برأسها قائلة: «طبعاً، أذكره.»

واغمضت عينيها محاولة ان تعيد ذكرى تلك الليلة في مخيلتها.

«لكنك لم تنكري الاتهام، وقد كانت الفرصة مناسبة. حيث طرحنا الموضوع وتكلمنا بصراحة، فعدم انكارك لذلك، سبّب لنا سوء تفاهم.»

اجابته باختصار: «اعرف.»

وكانت فعلاً نادمة لأنها أضاعت تلك الفرصة التي سنحت لها وقتها.

ثم نظرت في عينيه نادمة وهي تقول: «لا ادري لماذا لم يخطر ببالي ان انكره، ربما لأنني صعقت بما اخبرتني عن ريتا... لكنني حاولت ذلك ونحن في طريق عودتنا إلى الفندق، مؤنبة نفسي على انه كان ينبغي عليّ ان اتكلم في ذلك الوقت.»

«لو انني اعطيتك الفرصة للتكلم، بدلاً من ان ابتعد عنك على تلك الصورة... اشعر في الحقيقة، بأنني اطلب منك السماح لعدة أمور.»

نظرت في عينيه وقرأت فيهما الندم والتوسل إليها بأن تسامحه، وتساءلت هل انها تتخيل ويتهيأ لها ما قرأته في عينيه تلك؟

فقالت له وقد غمرها شعور بالأمل ممزوجاً ببعض التردد: «لا تقلق، فهذا لا يهم.»

تكحلت عيناه بسواد قاتم وهو يقول: «لا يهم؟ هل تعنين ذلك؟ ألا يهمك فعلاً لو طلبت منك السماح أم لا؟»

اسرعت لويزا تقول موضحة بسرعة: «لا، لم اعنِ ذلك. الذي أعنيه، انني سامحتك من كل قلبي من قبل، فلا تقلق لذلك.»

اغمض عينيه بارتياح للحظة واحدة، ثم فتحهما لينظر إليها متنهداً وهو يسألها: «هل فعلاً سامحتني؟»

«وأنا أيضاً اعتبر نفسي ملامة مثلك في كل شيء حصل.»

وارتسمت على وجهها ابتسامة جميلة وكأنها تؤكد بها على كلامها.

ثم تابعت بنبرة هادئة: «لقد وقعنا في نفس الخطأ عندما صدقنا شقيقتي... والتي يمكننا القول، انها كانت في حالة نفسية متأرجحة لا تلام عليها.»

ابتسم روث قائلاً: «لكن يبدو انها قد تحسّنت الآن...» توقف عن متابعة كلامه، ومدّ يده إلى جيب سترته وأخذ منها رسالة، ثم تابع قائلاً: «لقد تلقيت رسالة منها وقد ارسلتها منذ اسبوعين، ولم تصلني إلا منذ بضعة أيام... وكنت في ذلك الوقت منشغل بأمر واحد، وهو ان اعثر عليك... وقد جاء في رسالتها اعتذار عن كل ما حصل، وهي تأمل ان لا اصدق بأنه كان لكِ أية علاقة بالذي جرى، لا من قريب ولا من بعيد. ولكنني وكما ذكرت لك سابقاً ادركت ذلك بنفسي.»

«هل ريتا فعلت ذلك حقاً؟» وشعرت لويزا بامتنان نحو شقيقتها.

ثم نظرت إليه بعينين ضيقتين وقالت: «هل اشغلت نفسك حقاً وبهذه الجدية لتعثر عليّ؟»

أجابها بملامح جادة: «لقد كنت الهم الوحيد الذي شغل بالي لمدة ثلاثة أسابيع. لكن، اخبريني يا لويزا... هل يسركِ انني قد عثرت عليك أخيراً؟»

شعرت براحة وسعادة وهي تنظر في عينيه اللتين شعّتا رقة وعطفاً، ثم قالت: «لم اسرّ لأمر أكثر من هذا في حياتي كلها.»

فقال لها مبتسماً: «هل تعنين ذلك فعلاً؟»

طأطأت لويزا برأسها قائلة: «اعني ذلك فعلاً، ومن صميم قلبي... وانت هل سرّك انك عثرت عليّ أيضاً؟»

أجاب: «آه، انني مسرور للغاية! ولن تصدقي مبلغ سعادتي. والآن سأطلعك على السبب الآخر الذي دفعني للبحث عنك... ان طلب السماح منك كان السبب الأول... أما السبب الثاني، لأقول لك انني أحبك...»

نظر في عينيها نظرة حب، وتابع يقول: «ولأطلب الزواج منك.»

أجابته والفرحة تغمر روحها: «سأتزوج منك... كما انني سأحبك حتى آخر يوم من حياتي.»

«آه، لويزا... ويا عزيزتي! فأنت لا تدرين بأنك جعلت مني انساناً سعيداً!»

نظر في عينيها مطولاً وكأنه يعيش في حلم يخاف ان يستيقظ منه.

ثم تابع يقول بسعادة لا تضاهيها سعادة: «ما رأيك لو نتزوج في الاسبوع المقبل؟»

لقد مضى الآن على زواج لويزا من روث اسبوعان، وقد تم الاحتفال به في لندن، وكان هذان الاسبوعان من أسعد وأبهج أيام حياتهما، انه اشبه بحلم جميل. وكانت كلما نظرت في عيني روث غمرت روحها السعادة والبهجة، وقرأت فيهما بأنه لها وبأنها له إلى الأبد.

وتذكرت كيف حضر جميع الأصدقاء لمشاركتها فرحتها الكبرى، عدا آلان وريتا والولدين. فعندما اتصلت لويزا بشقيقتها هاتفياً، قالت لها هذه الأخيرة: «من الأفضل ان لا نشارككم هذه الفرحة، واشكرك على دعوتك لي وأتمنى لك كل السعادة والهناء. ربما، ومع مرور الوقت، يمكننا ان نصبح اصدقاء.»

اكتشفت لويزا بعد ذلك، ان آلان كان قد اخفى عليها السبب الحقيقي الذي دفع روث كي يصرفه من العمل في الشركة، وذلك عندما اكتشف بأنه كان ينهب ويسرق منها.

وحفاظاً على سمعته، صرفه من العمل دون يخبر احداً بالسبب.

لذا، فقد وافقت لويزا على قرار شقيقتها بعدم مشاركتها حفلة الزواج، وقد ادركت انه سيمضي وقت طويل قبل اعادة ما تهدم بينهما.

وعادت تبتسم إلى روث وهي مطمئنة ومرتاحة لوجودها إلى جانبه.

ثم قالت: «يا للروعة! كم انك تجعلني سعيدة بقربك، فأنا لم اشعر بسعادة تضاهيها في حياتي كلها.»

«هذا هو سبب وجودي إلى جانبك، ولأجعل من زوجتي الجميلة والرائعة، زوجة سعيدة مرتاحة البال. على أية حال، ما اقدمه لك من السعادة ليس أكثر من الذي تقدمينه إليّ.»

ونظر روث في عينيها فوجدهما تنطقان بالحب الذي ملأ حياتها، فأحس بالفرح يرقص في داخله، وتابع يقول: «اعتقد بأننا نحن الاثنين سنمر بأروع وأجمل قصة حب عرفتها البشرية.»

أجابته وهي تبتسم: «أوافقك على هذا الرأي.»

اختلطت دقات قلبيهما بسعادة عامرة وآمالٍ مستقبلية زاهرة.

تمـت

عزيزي القارئ:

يسر أسرة قلوب عبير أن تعيد الاتصال بك عبر إصداراتها الجديدة والمنتظمة. آملة أن تتوطد أواصر الصداقة بيننا وبين جمهور قراء رواياتك المفضلة.

كما يسر عبير أن تتلقى رسائلك التي تبدي فيها جميع ملاحظاتك وتعليقاتك على محتوى الأعداد وشكلها لنعمل على الارتقاء في عملنا من أجل توفير مزيد من المتعة في أوقات مطالعتك.

نعدك بإمكانية نشر بعض هذه الرسائل فقط، نظراً لوفرتها والحمد لله.

قلوب عبير

www.elromancia.com